ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 39 - العدد 1098 - الجمعة 4 ذي الحجة 1425 هـ - الموافق 14 يناير 2005

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

التوبة و الاستغفار

رحلة الحج وآثارها التربوية والأخلاقية

عيادة المريض آداب وأحكام

التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات

على المسلمين أن يستيقظوا

لقد جند أعداء العقيدة ما لديهم من مجهود لطمس معالم الدين، وتحرك لهذا المخطط عدة حركات غذتها مشارب عدة، ترى تلك الحركات المناهضة للدين أنه مخذر للشعوب ويعرقل سير الفرد ويكبح مواهب الكائن البشري ويحد من حريته. ولم يقف التيار المناهض للدين عند هذا الحد بل صار يبحث عن الأمة ذات العقيدة الدينية الضعيفة في ميدان التقدم الصناعي والاقتصادي والعلم المعاصر وإن كانت قوية في إيمانها الراسخ في نفوسها.

فرأت تلك الحركات المعادية للدين ومعتنقيه – كيفما كان – أن يعملوا كل ما في وسعهم لمحاربة الإسلام ومعتقديه بالدرجة الأولى حتى يزيلوه من الطريق حسب مخططهم. وبعدها يسهل عليهم محو باقي المعتقدات بصفة عامة (**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**).

وهذا التوجه الصهيوني الحاقد على كل معتنق ديانة استطاع أن يلصق بالإسلام والمسلمين رزمة من التهم يستهدف من خلالها القضاء على هذه العقيدة الإسلامية وأصحابها المسلمين الرحمانيين الناشرين للحب والسلم والسلام، الجاعلين نصب أعينهم قوله تعالى: (**لا إكراه في الدين**).

وفات أهل هذا المخطط الصهيوني أن من أصحاب الديانات من لا يمكن أن يخدع ويخون معتقده وتوجهه... وذلك يظهر من حين لآخر عندما نقرأ لبعض النابهين من علماء وكتاب وباحثين استنكارهم لما يعانيه الإسلام وشعوبه من ظلم أزكم أنوف الأحرار الداعين إلى نشر العدل والسلم بين أبناء البشرية.

هل من العدل والإنصاف أن يستغل القوي الضعيف ويستنزف خيراته ويتدخل في شؤونه الدخلية ويرميه ظلما وعدوانا بالباطل ويعتدي على أرضه وشرفه وخيراته ويقتل أرواح مواطنيه الأبرياء ويسحق ما له من بنية تحتية ويقتل علماءه ويناهض معتقده ويهدم مقدساته ويقول أنه يريد حرية هذا المكان ونشر العدل وتعميم المساواة بين أفراد أمته؟! (**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**).

إن من له دين يحترمه عليه أن ينتبه لما ينتظره من هذا المخطط اللاديني للقضاء على كل معتقد سليم كما عليه أن ينصح ويوجه ويدعو لنشر السلم والسلام ووقف هذا النزيف المعادي للقيم حتى تعيش الإنسانية في أمن واطمئنان وسلام وحب يكتنف بني الإنسانية جميعا.

إن من يخاطب الإنسانية بلغة الحديد والنار ويمارس إلغاء الرأي الآخر في حق البشرية استهزاء بها وتجاهلا لحقوقها لا يمكن له أن يجني من وراء هذه التجاوزات اللامشروعة هدوءا ولا سلاما.

رجاؤنا أن يبقى منطق القوة السائد هو العدل والمشروعية والمساواة بين أبناء الإنسانية حتى تتمتع الأمم والشعوب بكامل حريتها في دينها وجميع مظاهر حياتها وتحقق آمالها في البناء والتشييد والأمن والديموقراطية المنبثقة من داخل كل دولة وأمة دون تدخل في شؤونها الداخلية، ويسود احترام بعضنا للبعض، وتكريم بعضنا للبعض، ونرى اهتماماتنا جميعا تنصب على التعاون البناء، ونشر الأخوة والمحبة بين أفراد الإنسانية بصفة عامة.

نرجوها سنة سلم ووئام بين أبناء البشرية.

وكل عام والإنسانية محفوظة بفضل الله من الكوارث وما يخطط لها أعداء السلام، إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

التوجيهات الإسلامية في الحجة النبوية

-4-

مع بداية الأشهر الحرم يشرع المسلمون في الاستعداد لأداء مناسك الحج التي جاءت في شريعة الله مرتبطة بزمان محدد، ومكان محدد. ولايمكن للإنسان المسلم أن يؤدي فريضة الحج في غير الزمان المعلوم شهرذي الحجة، وفي غير المكان المعين مكة للطواف بالكعبة بعد الإحرام من الميقات والسعي بين الصفا والمروة بجانب الكعبة في نفس البيت الحرام، والوقوف بعرفات في ساحة عرفات يوم التاسع من شهر ذي الحجة من النهار وجزء من الليل الذي نرمي في صباحه جمرة العقبة الكبرى في طريقنا لطواف الإفاضة بالكعبة المشرفة في الأركان الأربعة للإسلام التي ذكرناها سابقا: الإيمان بالله ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان لم نجد للوقع المكاني أهمية في أداء الفعل من المسلم، فالصلاة ولو أنها ارتبطت بالزمان لتحديد الأوقات فإنها تتم أينما وجد المسلم وحيثما كان، والصيام في شهره المعين يمكن للمسلم أن يعيش معه وهو في شرق الكرة الأرضية أو في غربها، أو في شمالها أو جنوبها ولاعلاقة للمكان بأداء الفرض المعين، ومثله الزكاة. التي تدفع للمحتاجين في مكان استثمار المال وتنميته، ولكننا عندما نفكر في أداء فريضة الحج نجد الزمان والمكان يتدخل في التنفيذ ويفرض الاهتمام بهما وإجراء الحسابات الفلكية ومراقبة دوران القمر حول الأرض وبداية اجتماع القمر والأرض والشمس في خط واحد، فيبقى ضوء الشمس وحده موجه نحو نصف الكرة الأرضية، والليل لاوجود فيه لضوء القمر لاحتجابه ثم يشرع القمر في الخروج من ضل الأرض ويبدأ من جديد في اكتساب أشعة الشمس ليضيء بها الأرض في الجزء الذي تغيب عنه الشمس، وهي اللحظة التي نحسبها بداية ميلاد الهلال فيبدأ الشهر ويبدأ الحساب للأيام من أول الشهر، فإذا كان الشهر من الأشهر الحرم التي أشار الله إليها بقوله تعالى في القرآن الكريم الحج أشهر معلومات انفتح زمان أداء مناسك الحج، وتبقى أبوابه مفتوحة إلى اليوم التاسع من شهر ذي الحجة وهو أحد الأشهر المعلومات، فإذا أصبح اليوم العاشر من نفس الشهر أقفل الله باب الإحرام بالحج، لفوات الزمن المحدد لأداء هذه الشعيرة.

وعلى المسلم الانتظار إلى العام المقبل إن أطال الله عمره.

هذا بالنسبة لتحديد الزمن، ولكن المكان له شأن عظيم بالنسبة لهذا الركن من أركان الإسلام، وقد تدخل الله عز وجل في تحديده بكيفية قاطعة يقول الله تعالى في سورة آل عمران الآية:٩٦ "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، والبيت المقصود به الكعبة المشرفة يقول الله تعالى "جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس" الآية:٩٧ من سورة المائدة.

وتنص كتب فقه المناسك على أن الله تعالى أظهر البيت الحرام على وجه الأرض في شكل رغوة بيضاء بسطت الأرض من تحتها، ثم أمر الله الملائكة ببناء الكعبة قبل خلق آدم بألفي عام وطافت الملائكة به، ثم جاء آدم فبناه من جديد، فقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس، ثم بناه ابنه شيث، ثم بناه سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أرسل الله له سحابة على قدر البيت فصار جبريل يعلمه، وإسماعيل يناوله الحجر حتى تم البناء في موقع السحابة، ثم بناه الحارث بين مضاض ثم قصي وهو الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بنته قريش وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قبل البعثة بخمس سنوات وتنازع أعيان قريش من يحمل الحجر الأسعد ليضعه في مكانه وهو شرف عظيم في النظرة الدينية لقريش، وكانت رؤية لها قيمتها في الجانب الروحي والثقافي ووصل الأمر إلى حد الاحتكام للسلاح إذا لزم الأمر ولكنهم أخذوا برأي أحدهم في تحكيم أول داخل للمسجد الحرام، ليضعه على الطريقة التي يراها، وكان الداخل سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وعمره خمسة وثلاثون سنة، فكانت تلك الصدفة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقريش حيث نزل الجميع على حكمه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب على الأرض ووضع فيه الحجر، وأمرهم أن يحملوا جميعا الثوب، وعندما قرب الثوب لموقع الحجر حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعه في مكانه المخصص له، وارتاحت قريش لحكم الرسول" وهو لم يبعث بعد، ثم بنى الكعبة عبد الله بن الزبير بعدما تعرضت للتلف في حرب على الإسلام من طرف المسلمين.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شريف

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

نص رسالة ابن القاضي التنبكتي إلى ملك المغرب الشريف العلامة المولى سليمان رحمه الله

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الحلقة الثانية

لقد عرفت بهذه الرسالة في الحلقات الماضية على صفحات جريدة ميثاق الرابطة الغراء، وحاولت إعطاء فكرة مختصرة عنها، والرسالة ماخوذة من كتاب: "مصلح فولاني في بلاد المغرب" لمؤلفيه الدكتور محمد المنصور، وزوجه الفاضلة الدكتورة فاطمة الحراق، وهو يتضمن رسالتين لابن القاضي التنبكتي، إحداهما لوالي تونس، والثانية لسلطان المغرب المولى سليمان.

والمؤلفان بذلا جهودا مشكورة في التحقيق والتعليق والبحث، ولايسعني إلا أن أنوه بعملهما، وقد رأيت من الواجب أن ألفت نظر قراء صحيفتنا الغراء، إلى هذه الدراسة القيمة، مع تعليقات وإضافات قصد إبراز قيمة هذه الرسالة التاريخية.

هذا وقد طلب مني الأخ السيد مدير النشر مشكورا نص الرسالة، لأنني لم أتناول إلا لقطات منها معبرة عن المراد، وذلك إتماما للفائدة فلبيت طلبه شاكرا له اهتمامه وراجيا من الله التوفيق للجميع.

نص الرسالة:

و"بب" هو الريح الذي يجيء من ورء السفينة، وسرعة الوصول نعمة من نعم الله، وهؤلاء جعلوا ذلك من ترك قراءة القرآن والأذان وترك الجماع الحلال والبول والغائط عند غروب الشمس، وقد جهل الزعانف أن النعمة من عند الله وطاعته وتصديق كتابه، وذلك قوله عز من قائل "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والريح مقهور مغلوب مملوك بقدرة الله الأزلية ولايتحرك إلا بإذنه، لكن هؤلاء عكسوا الأمر وجعلوا الريح يتصرف بنفسه ولايحب القرآن، وبذلك الاعتقاد كرهوا قراءة القرآن وهجروا ماجاء به من التوحيد والصلاة والاستقامة، وبدلوا دين الله تبديلا، وكفروا بذلك لأنهم لايعملون بما في القرآن بل إنما عملوا بما جاءهم من عند شيخهم اللعين إبليس، وبهذا قال علام الغيوب: "قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة/الآية. وهؤلاء ضيعوا قرآنهم كما ضيع اليهود والنصارى توراتهم وإنجيلهم حيث بدلوا أحكام القرآن وتشاءموا به وتطيروا به. وكيف لايكفرون بتطيرهم بالقرآن وقد ذم الله قوما طيروا بمخلوق فضلا عن كلامه القديم كما قال خالقنا في حقهم: "فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه، ألا إنما طائرهم عند الله، ولكن أكثرهم لايعلمون، وهؤلاء إن جاءهم الريح "بب" قالوا هذا من تركهم قراءة القرآن والأذان ونحوهما. وإن جاءهم الريح من "برو" قالوا هذا من قراءة القرآن ومأأشبهها مما أمر الله به عباده. وهؤلاء هجروا القرآن وحاربوا من قرأه وتركوا الصلاة والأذان ونزلوا المصلي والمؤذن منزلة اليهود والنصارى. صدق الله وصدق رسوله الكريم وصدق أصحابه الكرام، وقال عز من قائل في حق أمثال هؤلاء: "وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا، وقد أورد مثل هذا الكلام جلال الدين السيوطي رحمه الله في بعض تواليفه مانصه: وقالت جماعة من الصحابة سيكون ممن بعدنا زمان يظل القرآن وتفسيره مهجورا ممنوعا"، وبعضهم يقولون لايجوز تفسير القرآن أصلا، ولايكون لهم نص إلا بزعمهم، وبعضهم يقولون إن تفسيره سبب السخط والفتن. لعن الله من قال هذا القول، ومن اعتقد هذا فهو كافر مرتد عن دين الإسلام يستتاب وإلا قتل، ولايؤخر له طرفة عين فهو علامة المشركين والكافرين، ثم قال بعد كلامه هذا: عادة الكافرين في الزمان الأول وكل من كان عروق الكفر في آبائه لايحب القرآن. وهؤلاء كذلك جعلوا قراءة القرآن والأذان والصلاة التي هي عمدة الإسلام سببا لعدم مجيء "بب" وسببا لهلاك المركب. والله ماعلمت فرقا بين هؤلاء وبين الذين ذكرهم السيوطي، بل هؤلاء أشد لأنهم منعوا القرآن جملة، قراءته وتفسيره، لاجرم أن من فرق بينهم له أن يفرق بين الماء واللبن، وبين الرومي والنصراني، وبين الكافر والمجوسي.

والعجب مما قال هؤلاء الزعانف! قالوا إن البحر ملك وسلطان والمركب بيت الله، ولا يجامع أحد فيها أهله، ومع ذلك لايؤذنون فيها ولا يصلون، بل ولا يذكرون، بل دأبهم فيها شرب الخمر وصلاتهم اللواط، وذكرهم سب دين الإسلام. وقالوا إن المركب والبحر والريح لايحب القرآن والأذان والصلاة وتمنع المركب من السير ويفور البحر ويمتنع الريح أن يجيئ من وراء المركب لفعل تلك الأمور، وهذا تناقض ظاهر حيث قالوا مرة المركب بيت الله، والعجب من بيت لايحب كلام ربه، والملك الذي يغضب إذا قرىء القرآن! بل إنما المركب ألواح ومسامير وأحبال، والبحر ماء وتحته تراب، والريح مخلوق ضعيف كأمثالنا ورسول من عند ربنا ليس له مشيئة كما قال رب العزة "وهو الذي يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته".

الحاصل لايتحرك شيء من هؤلاء المذكورات إلا بإذن الذي لا تتحرك ذرة ولاعرش ولاكرسي ولاسماوات ولاأرض ولا ما فيهما ولا مابينهما إلا بإذنه وإرادته وقدرته. ياويل هؤلاء حيث جمعوا في دينهم أخوين وهما الشرك والكذب اللذين هما أعظم مصيبة في الدنيا والآخرة! صدق الله ورسوله وصدق العلماء العاملون حيث قالوا "العلم نور"، وقد جعل الله ذلك النور الآن في قلبي حتى علمت مقصود هؤلاء بقولهم إن المركب بيت الله والبحر ملك وسلطان. هذا كلامهم على وجه التلبيس، وليس ذلك مقصودهم، بل مقصودهم أن المركب صنم والبحر والريح إلا هان قادران يتصرف كل منهما بنفسه. وبيان أن ذلك مقصودهم قولهم إن المركب تهلك بقراءة القرآن، وذلك ظاهر لأن القرآن هو أعظم المعجزات والصنم لايثبت مع أعظم المعجزات الذي هو القرآن المنزل على خير المرسلين. وقد شوهد من معجزاته صلى الله عليه وسلم سقوط الأوثان من بيت الله الحرام، لأن القرآن حق والصنم باطل. وقال تعالى: "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا". والبحر والريح صارا معبودين عندهم، وكل معبود لابد له من رسول يعلم عباده عبادته، ورسول هؤلاء اللعين إبليس. فمعلوم ضرورة أن السلاطين لايحب بعضهم بعضا، لاجرم أن يكون رسلهم كذلك، وأن يكره كل رسول ماخالف أمر مرسله ونهيه. فواجب إذن أن يكره إبليس ماجاء به رسول رب العالمين وهو القرآن والصلاة والأذان ونحوهما، يجب ترك القرآن الذي يصرح بلعنة وتوبيخ مرسله الذي هو الصنم الذي عبدوه من دون الله، ويحب ترك القرآن والصلاة والأذان ونحوها، ويحب الزنا وشرب الخمر واللواط وكل ما خالف ماجاء به القرآن مما يخالف أمر مرسله ونهيه.

(تتمة ص1)

وكان ذلك سنة 64 هجرية، وقد أدخل عبد الله بن الزبير حجر إسماعيل في مربع الكعبة وجعل لها بابين شرقي وغربي، ثم جاء الحجاج الثقفي فرد البناء على أصله القريشي وأخرج الحجر من البناء المربع، ثم هدمه السلطان مرادخان وأعاد بناءه بعد استشارة العلماء، والبناء هو الباقي إلى الآن، لكنه لحقته ترميمات أيام السلطان العثماني عبد الحميد، وبقي كذلك إلى أن قام الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين بإصلاح شامل للكعبة من الداخل والخارج وتغيير الباب الذهبي ولم يتوقف الطواف عنها لحظة واحدة، ثم أتبع ذلك بتوسيع مكان الصلاة بإدخال الجزء الكبير من مكان الصلاة بعد تهديم العمارات والأسواق التي كانت تحيط بالمسجد وإدخال الطرق في الساحة، ووضعت ساحات أخرى للمصلين خارج المسجد، وبلغ العدد في صلوات الجمعة إلى مليونين ونصف من المصلين. هذا المسجد وهذا البيت الحرام الذي في وسطه وهي الكعبة المشرفة التي تحدثنا عنها بنوع من التفصيل والتي لايقبل الحج إلا فيها، ولا يطاف إلا حولهامن أي مسلم كان، فالقدوم إلى الكعبة وقصدها لأداء مناسك الحج أمر إلزامي. فإذا كان المسلم يصلي ويصوم ويزكي في أي مكان، فإنه لاحج له إلا في البيت الحرام ومع الكعبة المشرفة، وفي زمن واحد لايقبل التغيير أو التبديل وهو الأشهر الحرم، والوقوف بعرفات يوم التاسع من الشهر الأخير من العام الهجري وهو شهر ذو الحجة.

بالإضافة إلى الوحدة في الزمان والمكان المشار إليها سالفا، هناك أعمال أخرى من مناسك الحج يتوحد فيها المسلمون جميعهم، لا فرق في أدائها بين غني وفقير أو رئيس أو مرؤوس بل هم جميعا في أدائها سواء ومنها:

الطواف بالكعبة وهو بداية تحية المسجد الحرام يتجه فيه المسلمون كلهم جهة واحدة يضعون الكعبة على جهة اليد اليسرى ويستمرون في الدوران حولها خارج الحجر، ويكون بدء الطواف في مواجهة الحجر الأسعد عند الزحام أو ملامسته وتقبيله عند الإمكان، ونحن نعلم أن قلب الإنسان كشيء مادي وعنصر الإيمان كشيء معنوي يقع في الجانب الأيسر من جسم الإنسان، ولهذا جاء التوجيه الإلاهي بجعل الكعبة قريبة من الجهة التي تحتوي على قلب الإنسان وهو الجانب الأيسر، ليكون الانفعال كاملا والارتباط شاملا وكلمة لاإله إلا الله تملأ مابين السماء والأرض.

وارتباطا بوحدة الزمان والمكان في مناسك الحج نجد وحدة أخرى لها دلالة عظيمة في الجانب الإسلامي، وترسل رسالة إيمانية إلى كل مسلم كيفما كان موقعه في المجتمع من حيث الجاه والمنصب والمال والموقع، وأعني بذلك وحدة لباس الإحرام بالنسبة للرجال.

فالمسلم الذي جاء محرما بحج أو عمرة، لابد له أن يتجرد من الثياب التي يعيش بها ويلبسها في مجتمعه أو في قصره، والتجرد من الثياب هو تطهر وتخلي عن المميزات التي تشير إلى نوعية البشر، ففي البيت الحرام وعند الطواف الأول بعد الاحرام والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات الحجاج الرجال كلهم بلباس واحد أبيض يستر الجلد ولايستطيع أحد أن يغير ذلك أو يحدث لباسا آخر له مادام محرما.

وبجانب هذه (الوحدانية) في الحج زمانا ومكانا ولباسا نجد وحدانية أخرى على اللسان فالكل يقول: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك" هذه الكلمات تكون مصابيح للمحرم ويستمر يرددها وهي تعطيه الطاقة الإيمانية، وتدمجه مع باقي المسلمين قبله وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرددها في توجهه ورواحه بجانب الدعوات المخصوصة عند الطواف والسعي.

إن وحدة هذا الدين وكلمة لاإله إلا الله محمد رسول الله تصنع من جميع المسلمين هيئة واحدة وجماعة واحدة وقوة واحدة وطاقة واحدة وتوجههم واحد، ونلمس صورة من هذه الوحدة في مناسك الحج بجانب الكعبة المشرفة وفي ساحة عرفات ندعو الله عز وجل أن يديم وحدة المسلمين ووحدة كلمتهم ووحدة توجههم كما وحدحجهم وقبلتهم، وإلى العدد المقبل إن شاء الله مع حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الوثاق

التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات

الأستاذ : إدريس كـرم

الحلقة الأولى

للعلامة عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي

الحمد لله ملهم الحق ومفيده، ومبدىء الخلق ومعيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لإقامة الدين وتسديده، وعلى ءاله وصحبه القائمين بنصره وتاييده، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله سبحانه عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي وفقه الله بمنه،

لما وقفت على ما قرره الإمام شهاب الدين القرافي رحمه الله في مسالة التخصيص بالنية من اعتبار شرط المنافات، وعلى ما سطره العلامة ابن القاسم بن الشاط في مخالفته من القواعد والاعتراضات، دعتني داعية التعلق بتحقيق المسائل، وبغية الولوع بتحرير المقاصد والوسائل، أن أتعرف كنه الحقيقة في صورة النزاع، وأن لا أجتزء فيها بمجرد التقليد والاتباع، فاوريت زندجدى، وأعملت النظر جهدي، فلاح لي وجه الحق فيها مع الشهاب، وأيقنت منه الإصابة دون شك ولا ارتياب، فعند ذلك أبرزته للعيان، وبينته في مجلس الدرس أحسن بيان، ثم رأيت أن أرسمه في مسطور، وأرقمه في رق منشور، ليتم وضعه، ويعم نفعه، وبالله تعالى أستعين، فهو القوي المعين،

قال الإمام أبو العباس أحمد بن ادريس القرافي شهاب الدين رحمه الله في كتابه المسمى بأنوار البروق، في أنوار الفروق، ما نصه:

■ الفرق التاسع والعشرون في الفروق بين قاعدة النية المخصصة، وقاعدة النية أيضا ذهب على كل من يفتي من أهل العصر فلا يكادون يتعرضون عند الفتاوي للفرق بينهما، فإذا جاءهم حالف قال حلفت الا لبست ثوبا، ونويت الكتان، يقولون له لا تحنث بغير الكتان، وهو خطا بالإجماع، وكذلك بقية النظائر، وطريق كشف الغطاء عن ذلك، ان تقول أن المطلق اذا أطلق اللفظ العام ونوى جميع أفراده بيمينه حنثناه بكل فرد من ذلك العموم، لوجود اللفظ فيه، ولوجود النية، والنية هنا مؤكدة لصيغة العموم، وإن أطلق اللفظ العام من غير نية ولا بساط ولاعادة صارفة حنثناه بكل فرد من أفراد العموم، للوضع الصريح في ذلك، وإن أطلق اللفظ العام ونوى بعضها في اليمين، وغفل عن البعض الأخر لم يتعرض له بنفي ولا إثبات، حنثناه بالبعض المنوي باللفظ والنية المؤكدة، وبالبعض الآخر باللفظ، فإذا مستقل بالحكم غير محتاج إلى النية لصراحت، والصريح لا يحتاج إلى غيره، وإن أطلق اللفظ العام وقال نويت إخراج بعض أنواعه عن لفظ اليمين، قلنا لا يحنث بذلك البعض المخرج، لأن نيته مخصصة لعموم لفظه.

وهذه النية بخلاف نيته الأولى، وهي أن يقصد بعض الأنواع في اليمين ويغفل عن غيره بسبب قادعة وهي أن من شرط المخصص أن يكون منافيا للمخصص، ومتى لم تكن النية منافية لم تكن مخصصة، وكذلك المخصصات اللفظية إذا لم تكن معارضة لا تكون مخصصة وقصده بذكر البعض في يمينه، مع غفلته عن بقية أنواع اللفظ، ليس منافيا لشيء من اللفظ، بل مؤكد للفظ، في بعض مسمياته، وهو في البعض المغفول عنه لا مؤكد ولا مناف فلم توجد حقيقة المخصص لقوات الشرط الذي هو المنافات.

*****

والغفلة عن هذا الشرط هي بسبب الغلط عند من غلط في ذلك بمجرد ما يسمع المستفتي يقول نويت الكتان، يقول له لا تحنث بغيره، وما علم أنه لا يمنع الحنث بغير الكتان إلا بالقصد إليه وإخراجه عن اليمين، فإذا لم يقصد إخراجه بقي مندرجا في عموم اللفظ، والنية التي ذكرها إنما هي موافقة للفظ في بعض أنواع، موكدة له فيه لا منافية له في شيء من أنواع مسمى اللفظ، فالمعتبر في تخصيص العموم في الإيمان إنما هو القصد إلى إخراج بعض الأنواع عن العموم، لا القصد إلى دخول بعض الأنواع في العموم، فإن الأول مناف ومخصص دون الثاني، فإنه موافق ومؤكد، فصات فيه بشرط التخصيص، فلا يكون مخصصا، ويطرد ذلك في المخصصات اللفظية، كان يقول الله تعالى اقتلوا الكفار، اقتلوا اليهود، فلا نقول إن قوله اقتلوا اليهود مخصص لعموم قوله اقتلوا الكفار، بل مؤكد لعموم اللفظ في بعض أنواعه، وهم اليهود، ولو قال لا تقتلوا الذمي كان مخصصا للعموم لحصول المنافات بينهما، فكذلك النية فمتى قال المستفتي نويت كذا نظر لنيته تلك، هل هي مخرجة منافية لعموم اللفظ في بعض أنواعه، أم لا؟ فإن وجدتها منافية مخرجة فاجعلها مخصصة ولا تحنثه بما نوى إخراجه عن اليمين، وإن لم تجدها مخرجة فقل لا اثر لها البتة إلا التأكيد، وليست من باب المخصصات، ومتى لم تجر على هذا القانون أخطأت هـ و نحوه له في الذخيرة، وهو موافق لما قرره شيخه الإمام عز الدين ابن عبد السلام، حسبما نقله ابن راشد، ونصه.

*****

القاعدة السابعة الفرق بين النية المؤكدة والنية المخصصة، فالمؤكدة هي الموافقة لمدلول اللفظ والمخصصة منافية، مثل أن يقول والله لا لبست ثوبا، ونوى الكتان قال عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله، الفقهاء يفتون انه لا يحنث إلا بالكتان، والصواب أن يقال يحنث في الكتان باللفظ لأن النية هاهنا مؤكدة ويحنث في غيره بعموم اللفظ، وإن استحضر غير الكتان في نيته، ونوى إخراجه عن عموم اللفظ، لم يحنث به لان النية حَ مخصصة لأن من شرط المخصص أن يكون منافيا هـ.

*****

وقد كتب العلامة أبو القاسم قاسم بن عبد الله ابن الشاط الأنصاري السبتي رحمه الله في كتابه أدوار الشروق على أنوار الفروق، على قول الشهاب الفرق التاسع والعشرون إلى قوله والصريح لا يحتاج إلى غيره ما نصه: قلت ما قاله من تحنيث الحالف المطلق اللفظ العام الناوي لبعض ما يتناوله الغافل عن سواد فيه نظر، فإن النية هي أول معتبر في الإيمان، ثم السبب والبساط إذا اقتضى تقييد اللفظ أو تخصيصه نزل لفظ الحالف على ذلك ولم يحنث بما عداه، ولم يكن ذلك كذلك إلا لأن السبب والبساط يدلان على قصده التقييد والتخصيص فإذا نوى التقييد والتخصيص، فهو يدل عليه البساط فلان يعتبر التقييد والتخصيص المنويان أولى من المستدل عليهما بالسبب والبساط هـ أقول حاصل هذا الكلام أن البساط معتبر في تقييد لفظ الحالف وتخصيصه، وما ذاك إلا لأنه يحوم على النية عند فقدها أو عدم ضبطها من حيث أنه سبب حامل على اليمين، فمع وجود النية كيف لا يعتبر التخصيص والتقييد بها، وهذا صحيح لا مرية فيه، ولا يضر الشهاب فيما قرره من الفرق المذكور شيئا، لأن المستحضر لبعض الأفراد القاصد إلى تعلق الحكم به ذاهلا عن غيره ليس له نية تخصيص، ولا يمكن تصورها فيه البتة، لأن التخصيص كما تقرر في الأصول قصر العام على بعض أفراده، بأن يراد عدم دخول البعض الآخر في حكمه، وظاهر افراده أنه لا قصد هنا، إذ ليس معه إرادة عدم دخول البعض والبساط المخصص، فخرج لبعض أفراد العام واعتباره لدلالته على نية الإخراج.

*****

وبالجملة التخصيص إخراج ما يمكن دخوله في العموم كما في عبارة الغزالي، ولا شيء من الإخراج بحاصل في صورة الذهول عن البعض، وهذا من الوضوح بحيث لا يخفى على ذي مسكة، وكتب على قوله وإن أطلق اللفظ العام، وقال نويت إخراج بعض أنواعه إلى قوله لعموم لفظه ما نصه، هذا هو الاستثناء بالنية دون النطق، وفيه خلاف.

قال صاحب الجواهر منشأ النظر إلى أنه من باب تخصيص العموم، فيجزىء بالنية أو بالنظر إلى حقيقة الاستثناء فلا يجزىء الانطفا هـ.

*****

قلت فتأمل كيف جعل صاحب الجواهر التخصيص بالنية أصلا وذلك مشعر بعدم الخلاف فيه وحصل الاستثناء بالنية فرعا محمولا على أنه تخصيص في قول أو على استثناء على ءاخر وذلك عكس ما قال شهاب الدين، فإنه ساق التخصيص بالنية مساق المختلف فيه، وصوب القول بعدم التخصيص بها حملا على التاكيد، وساق الاستثناء بالنية مساق المتفق عليه هـ.

وأقول حمل كلام الشهاب على الاستثناء بالنية توهما من قوله إخراج لأن الاستثناء إخراج وإنما أراد الشهاب بلفظ إخراج إرادة عدم التناول أولا، وهذا المجاز شائع في كلامهم بمسألة قوله ونويت إخراج بعض أنواعه من باب التخصيص بالنية المتفق على اعتباره لا من باب الاستثناء بالنية المختلف فيه، ولا نسلم أنه ساق التخصيص بالنية مساق المختلف فيه، ولا إشعار في كلامه بذلك، فإن صورة التأكيد لا تخصيص فيها قطعا، والقول بأن النية فيها مخصصة خطا بالإجماع كما تقدم، وما أشعر به كلام ابن شاس من الاتفاق على اعتبار التخصيص بالنية صرح به ابن رشد في البيان وسنذكر لفظه وما حكاه من الخلاف في الاستثناء بالنية حكاه اللخمي وابن رشد ووجهاه بما سياتي عنهما غير ان ابن رشد قيد الخلاف بما إذا كان الاستثناء مخرجا لبعض أفراد العام والعدد في جميع الأحوال، قال وأما إن كان مخرجا لجميع الجملة في بعض الأحوال فلابد فيه من تحريك اللسان قولا واحد هـ.

وكتب على قوله وهذه النية بخلاف نيته الأولى إلى قوله ومتى لم تجر على هذا القانون أخطأت ما نصه: أما قوله إن من شرط المخصص أن يكون منافيا للمخصص فصحيح وذلك في تخصيص العموم اللفظي الدال على حكم شرعي من حيث أن المخصص إن لم يكن منافيا احتمل قصد التأكيد وقصد التخصيص على السواء فلا يعدل عن مقتضى العموم مع القول بأنه دليل بمجرد احتمال الخصوص، أما إذا كانت المنافات فيتعين المصير إلى التخصيص لاستحالة التنافي في كلام الشارع، وأما قوله ومتى لم تكن النية منافية لا تكون مخصصة بغير مسلم، بل الصحيح في النظر أن النية تكون مخصصة وإن لم تكن منافية من جهة أن القواعد الشرعية تقتضي أنه لا ترتيب للأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات إلا على النيات والقصود، وما ليس بمنوى ولا مقصود فغير معتد به، ولا مواخذ بسببه، وهذا أمر لا يكاد يجهله أحد من الشرع، ولم يحمل شهاب الدين على ما قال في ذلك، واختاره الا توهمه ان حكم النيات كحكم الألفاظ الدالة على المدلولات والأمر ليس كما توهم والله تعالى أعلم،

*****

أقول سلم اشتراط المنافات في المخصص اللفظي وقيده بالدال على حكم شرعي ولا وجه لهذا التقييد إذ لا فرق بين الأدلة الشرعية وغيرها فإن التعميم والتخصيص كلاهما من مقاصد العقلاء وهي تصان عن التناقض وهذا القدر كاف في تحقق التخصيص عند تحقق المنافات وهو مشترك بين المخصصات كلها متصلها ومنفصلها وقعت في كلام الشارع أو في كلام غيره، ومتى فقدت المنافات فقد الإخراج الذي هو معنى التخصيص في الأدلة الشرعية وغيرهما، وأما منعه اعتبار شرط المنافات في النية فمكابرة لا تليق بمثله، إذ من المعلوم أن المخصصات اللفظية إنما اعتبرت لدلالتها على النية، وإفادتها التخصيص بها، فهي مخصصات بمعنى أنها مفيدة للتخصيص كما في عبارة المحقق المحلى، وإلا فالنية هي المخصص، صرح به الإمام الرازي وغيره.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في المستصفى ما نصه: تسمية الأدلة مخصصة تجوز، فقد بينا أن تخصيص العام محال، لكن الدليل يعرف إرادة المتكلم وأنه أراد باللفظ الموضوع معنى خاصا هـ.

(يتبع/...)

في ظلال الحديث

الحديث العشرون والمائة:عيادة المريض: آداب وأحكام

نص الحديث:

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
"إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"رواه مسلم.

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث:

حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل عيادة المريض (2568/1989/4)، والترمذي في سننه، كتاب الجنائز، باب ماجاء في عيادة المريض، (967/299/3)، وأحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان (1166/138/1) وابن حبان في صحيحه (2957/223/7)والبيهقي في سننه الكبرى (6371/380/3)...

سند الحديث

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وقال: حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي: هو أبو زكريا يحيى بن حبيب بن عربي الحارثي وقيل الشيباني البصري روى عن يزيد بن زريع وحماد بن زيد وخالد بن الحارث وعبد الوهاب الثقفي ومعتمر بن سليمان... وجماعة وعنه الجماعة سوى البخاري. قال أبو حاتم الرازي: صدوق، وقال النسائي: ثقة مأمون، وذكره ابن حبان في الثقات. مات رحمه الله سنة ثمان وأربعين ومائتين (248).

حدثنا يزيد بن زريع: هو أبو معاوية يزيد بن زريع الحافظ الحجة محدث البصرة. حدث عن أيوب السختياني وخالد الحذاء وحبيب المعلم... وعنه علي بن المديني وأمية ابن بسطام ومحمد بن المنهال الضرير... وخلق كثير. قال أحمد بن حنبل: كان ريحانه البصرة ماأتقنه وما أحفظه وقال أبو حاتم: ثقة إمام وقال أبو عوانة: صحبت يزيد بن زريع أربعين سنة يزداد في كل سنة خيرا وقال بشر الحافي: كان يزيد متقنا حافظا ما أعلم أني رأيت مثله ومثل صحة حديثه وقال يحيى بن سعيد القطان: لم يكن هاهنا أحد أثبت منه. مات رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وثمانين ومائة (182) وله 81 سنة.

حدثنا خالد هو الحافظ الثبت أبو المنازل خالد بن مهران البصري محدث البصرة ولم يكن حذاء بل كان يجلس عندهم، كان من المتقنين المواظبين على العبادة والعلم، كان رجلا مهيبا لايجترئ عليه أحد، وكان كثير الحديث وقال ماكتبت شيئا قط إلا حديثا طويلا فلما حفظته محوته وكان قد استعمل على القبة ودار العشور بالبصرة وثقه أحمد بن حنبل وابن معين واحتج به أصحاب الصحاح مات سنة 141 رحمه الله تعالى.

عن أبي قلابة: هو ابو قلابة، عبد الله بن زيد بن عمرو ويقال بن عامر بن ناتل بن مالك، الجرمي البصري أحد الأئمة الأعلام قدم الشام وسكن داريا ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل البصرة وقال: كان ثقة كثير الحديث وكان ديوانه بالشام فقال عمر: لن تزالوا بخير يا أهل الشام مادام فيكم هذا أو مثل هذا، وقال أيوب: كان والله من الفقهاء ذوي الألباب ما أدركت بهذا المصر رجلا كان أعلم بالقضاء من أبي قلابة. وقال يحيى بن معين: أرادوا أبا قلابة على القضاء وهو بن خمسين سنة فأبى وخرج إلى الشام فمات بالشام سنة (104) روى له الجماعة.

عن أبي أسماء الرحبي: هو أبو أسماء عمرو بن مرثد الرحبي الشامي الدمشقي. روى عن أوس ابن أوس الثقفي وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشداد بن أوس الأنصاري ومعاوية ابن أبي سفيان وأبي الأشعث الصنعاني وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة..وروى عنه خلق قال العجلي: شامي تابعي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. روى له البخاري في الأدب والباقون. مات في خلافة عبد الملك بن مروان رحمه الله.

عن ثوبان: هو أبو عبد الله، ثوبان بن بجدد، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أصله من أهل السراة (بين مكة واليمن) اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أعتقه وقال: "إن شئت تلحق بمن أنت منهم فعلت وإن شئت أن تثبت فأنت منا أهل البيت" فثبت ولم يزل معه في سفره وحضره ثم خرج إلى الشام فنزل الرملة ثم حمص وابتنى بها دارا ومات بها سنة 54هـ، روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 128حديثا.

أهمية الحديث:

حديث ذو أهمية بالغة، حيث يؤسس من خلاله النبي المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، لحياة اجتماعية سليمة، فهو من خلال هذا الحديث وغيره يجعل المريض وهو على فراش المرض يشعر بالقوة وإخوانه يزورنه، ومن هنا نساهم في علاج مرضانا، ونقوي صلاتنا ونكون حقيقة كالجسد الواحد.

مفردات الحديث:

"عاد": العيادة، الزيارة وهي خاصة بالمريض.

"خرفة":اسم مايقطع من الثمار حين يدرك، وقيل مايحرز من ثمر النخل، وهو كناية عن الثواب.

"جناها: مايجنى منها والجني: مايقطع من الثمار مادام غضا.

المعنى العام

تقديم:

عيادة المريض حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ولقد حث الإسلام المسلمين على الاهتمام بهذا الحق والقيام به حتى يشعر المسلم عند مرضه بروح الأخوة من إخوانه.

ومن الثابت أنه لاشيء يسعد المريض وهو في مرضه كأن يزوره أخوه في الإسلام، هذه الزيارة باسم هذا المريض، قد يعين أحدنا أخاه على مرضه بزيارته، وقد يعجل شفاءه، قد يرفع معنوياته، ويخفف من آلامه، ويعوضه بعض ماحرمه من القوة والصحة.

إن زيارة المريض تزرع في نفسه الإحساس بالحب للآخرين، وتخفف الآلام عن نفسه وتشعره برعاية إخوانه وذويه وأصدقائه ومجتمعه له. وكثيرا مايبدأ المريض الذي يصاب بمرض مؤلم، أو طويل أو مرض يشعره بالخطر على حياته، كثيرا مايبدأ بعد الشفاء سلوكا جديدا وعلاقات إنسانية أكثر إيجابية وصوابا، لاسيما إذا وجد من يعينه على العلاج والشفاء، وتخفيف الآلام ماديا ومعنويا.

1. حكم عيادة المريض:

عديدة هي النصوص التي تحث وتوصي وتأمر بعيادة المريض، وترغب فيه بذكر جزيل الثواب، وتجعله من حق المسلم على أخيه بل من حق الإنسان على أخيه الإنسان عموما، وذلك من خلال الممارسة العملية للحبيب صلى الله عليه وسلم، حيث لم يكن يتأخر عن زيارة المريض بغض النظر عن دينه، بل لأنه إنسان من حقه أن يزار وإذا كان مرضه مرض الموت لعل الله يشرح صدره للإسلام فتكون هذه الزيارة قد أتت أفضل ما يمكن لها أن تؤتيه، وهو العتق والنجاة من النار...

عن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة. أو قال آنية الفضة. وعن المياثر والقسي، وعن لبس الحرير والديباج والاستبرق. متفق عليه.

هذا الحديث وغيره ظاهرها يفيد أن عيادة المريض فرض، وإلى هذا ذهب البخاري، وقال في صحيحه "باب وجوب زيارة المريض" وهو قول الداوودي وابن تيمية وغيرهما، والمراد أنه فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقي، وإذا لم يقم به أحد أثم الجميع.

وقال الجمهور: هي في الأصل مندوبة وقد تصل إلى حد الوجوب في حق البعض حسب حالة المريض، والزائر، فإذا كان الزائر ممرضا أو ممن تكون زيارته آكدة فالعيادة واجبة.

وعن الطبري: تتأكد في حق من ترجى بركته، وتسن فيمن يراعي حاله، مثل الصديق والقريب والجار، وتباح فيما عدا ذلك...

والعيادة على الفور مرة واحدة تكفي في الواجب إن شاء الله تعالى.

2. فضل عيادة المريض:

إن الإسلام رتب على هذا العمل الجليل الذي تقوى به أواصر الأخوة، وتتماسك به العلاقات، ويسرى به عن المريض، رتب عليه ثوابا جزيلا، ويكفينا هذا الحديث الذي يبين فيه الحبيب المصطفى أن مثل الذي يعود المريض كمثل رجل في الجنة يتفيأ بظلالها، ويتنعم بنعيمها، ويختار مايشتهي وما لذ وطاب من ثمرها وذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لم يزل في خرفة الجنة"

وفي حديث آخر يبعث الله عز وجل عددا هائلا من ملائكة الرحمة في أثر الزائر يستغفرون له سائر يومه إن كانت الزيارة صباحا، وآناء ليله إن كانت الزيارة ليلا، فعن علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة" رواه الترمذي والحاكم بنحوه وقال صحيح على شرط مسلم.

ويبشر الرسول صلى الله عليه وسلم زائر المريض زيادة على جزيل الثواب السابق ذكره، أنه إذا خرج ناويا عيادة مريض فإن رحمة ربه تغمره، فإذا زاره فإنه يغتمس فيها، كرجل دخل بركة ماء فهل يبقى عليه أثر وسخ أو درن، عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضا لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس فإذا جلس اغتمس فيها" رواه مالك بلاغا، وأحمد ورواته رواة الصحيح، والبزار وابن حبان في صحيحه.

وترغيبا في القيام بمثل هذه الأعمال الفاضلة، يزيد الحبيب صلى الله عليه وسلم زائر المريض، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضا أو زار أخا له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا" رواه الترمذي وحسنه واللفظ له، وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه.

أيها القارئ الكريم، والقارئة الفاضلة: من منا يستمع إلى هذه البشائر، ويعلم هذا الفضل العظيم والثواب الجزيل، ويتأخر أو يتوانى، أو يسوف فيقول: إلى غد، وسأفعل... والله لايتأخر ولايتوانى إلا محروم غافل.

هذا وما زال للموضوع بقية نتكلم عن مجموعة من آداب زيارة المريض، وبعض الأحكام العامة والخاصة، نتناولها في الحلقة المقبلة بإذن الله تعالى، وإلى ذلكم الحين نسأل الله تعالى أن يلهمنا فعل الخيرات، ودوام المسرات وأن يشافي مرضانا ومرضى المسلمين.

حديث المنابر

جملة عظماق

إعداد الأستاذ:
العربي الموذن

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وميدانا يتسابق فيه الموفقون إلى الأعمال الصالحة، أحمده، وحمدي له من نعمه، وأشكره على جزيل مَنِّه وكرمه، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له. حث على اغتنام المهلة، والتزود بالأعمال الصالحة قبل النقلة. فقال سبحانه وتعالى: "ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته..."وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، حذر من تضييع الأوقات في الغفلات فقال : "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة " صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا. من يطع الله ورسوله فقد رشد واهتدى، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل واعتدى، ولايضر إلا نفسه، ولايضر أحدا، اللهم اجعلنا من المهتدين، ولاتجعلنا من المعتدين...

أما بعد، فيقول الله تعالى : "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى" فياعباد الله: اتقوا الله، واعلموا أن الدنيا دار ممر، وأن الآخرة هي دار المقر، فخذوا من ممركم لمقركم، وتأهبوا ليوم حسابكم وعرضكم على ربكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله "يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية" ووعظ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أصحابه فقال: إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مازرع، لايسبق بطيئ بحظه، ولايدرك حريص مالم يقدر له، من أعطي خيرا فالله أعطاه، ومن وقي شرا فالله وقاه. فإن كل ماهو آت قريب، ألا وإن البعيد ماليس آتيا، ألا وإن السعيد من وعظ بغيره. وماقل وكفى، خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها، خير من إمارة لاتحصيها، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلال، الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ماألقي في القلب اليقين، والبراءة من الكفر، وشر العمى عمى القلب، ومن الناس من لايأتي الجمعة إلا دبرا، ولايذكر الله إلا هجرا، وشر المكاسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، وإنما يكفي أحدكم ماقنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يعص الله يطع الشيطان، ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس بالدنيا يضحكون، وببكائه من خشية الله إذ الناس يضحكون، وبصمته إذ الناس يخوضون، وبخشوعه إذ الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون حليما حكيما سكينا، ولاينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا، ولاغافلا، ولاصخابا، من تطاول تعاظما حطه الله، ومن تواضع تخشعا رفعه الله، وإن للملك لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك ايعاد بالخير، وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله، ولمة الشيطان، إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله. إن الناس قد أحسنوا القول، فمن وافق قوله فعله، فذاك الذي أصاب حظه، ومن خالف قوله فعله. فذاك إنما يوبخ نفسه. لاألفين أحدكم جيفة ليل، قطرب نهار، من لم تأمره الصلاة بالمعروف، وتنهه عن المنكر، لم يزدد بها من الله إلا بعدا، مادمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له، إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسما، وأمرضهم قلبا، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلبا، وأمرضهم جسما، وأيم الله لو مرضت قلوبكم، وصحت أجسامكم ، لكنتم أهون على الله من الجعلان، ماكان من نظرة فإن الشيطان فيها مطيعا، مع كل فرحة ترحة، ومامئ بيت حبرة، إلا ملئ عبرة، ومامنكم إلا ضيف، وماله عارية فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها، يكون في آخر الزمان أقوام أفضل أعمالهم التلاوم بينهم، إذا أحب الرجل أن ينصف من نفسه، فليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء، رب شهوة تورث حزنا طويلا، ماعلى وجه الأرض شيئ أحوج إلى طول سجن من لسان، من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لايأكله السوس، وينالله السراق، فليفعل، فإن قلب الرجل من كنزه، لايقلدن أحدكم في دينه رجلا فإن آمن آمن، وإن كفر كفر، وإن كنتم لابد مقتدين، فاقتدوا بالميت، فإن الحي لاتؤمن عليه الفتنة، لايكن أحدكم أمعة، يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا، اهتديت، وإن ضلوا، ضللت، ألا ليوطن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس لايكفر" وقال ابن القيم رحمه الله: "من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه، للعبد ستر بينه وبين الله، وستر بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس، للعبد رب هو ملاقيه، وبيت هو ساكنه، فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه، إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها، الدنيا من أولها إلى آخرها، لاتساوي غم ساعة، فكيف بغم العمر، محبوب اليوم، يعقبه المكروه غدا، ومكروه اليوم، يعقبه المحبوب غدا، أعظم الربح في الدين أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها، كيف يكون عاقلا من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة، اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة. والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لاتصل فيه إلى قليل ولا كثير، ذلك يوم التغابن، يوم يعض الظالم على يديه. السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة الله، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية الله، فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها، والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب، فروعها الأعمال، وثمرتها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة، وكما أن ثمار الجنة لامقطوعة ولاممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك، والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا، الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة، الزقوم والعذاب المقيم، اللهم احفظنا من عذابك يوم تجمع عبادك، اللهم اجعلنا من أهل الجنة يارب العالمين، نفعني الله وإياكم بالقرآن المبين...

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه ونستغفره...

أيها الناس يقول ربنا سبحانه وتعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا".

والله سبحانه وتعالى قد ضمن للناس أرزاقهم، ومعنى هذا أنه جعل كل عناصر الرزق موجودة في الأرض، تماما كما تشتري لبيتك كل مايحتاج إليه طوال الشهر، وتخزنه في البيت، إذن الرزق موجود في البيت وكل عناصره متوافرة.

فالذين يثيرون قضية التوكل على أنها قعود عن العمل، يفرون من كل عمل يورثهم تعبا، أما كل عمل يورثهم لذة فهم لايتوكلون فيه، يتوكل الجاهل حتى يوضع الطعام أمامه، ثم ينسى توكله ويبذل أقصى جهده لتناوله، فهم كاذبون في دعواهم، مفترون على الله وعلى الإسلام، وغاية الأمر أن الله في قدره شاء أن يبين لنا أن الأسباب لاتملكه، فهو الذي قرر الأسباب، وهو الذي وضع لها النتائج، ومشيئته هي النافذة، ولهذا فالله سبحانه وتعالى لكي يعرفنا أن الأسباب لاتملكه، فهو يحرمنا من ثمرات أشياء بذلنا فيها غاية جهدنا، وذلك حتى لانفهم أن العمل هو الذي يرزق.

يجعلنا نعمل عملا ثم يفشل، نزرع الأرض ونبذل فيها كل الجهد، ونأخذ لكل الأسباب، ثم يهلك المحصول، وبعد ذلك يرزقنا الله من حيث لاندري ولانحتسب، وأمامنا أمثلة كثيرة وواضحة...يأتي اعصاراوفيضان فيقضي على جهود الناس في دولة من الدول، فتصبح لاتملك غذاء يومها، ثم تهب الدول الأخرى لنجدتها، فيأتيها الرزق من حيث لاتحتسب ولاتدري، وذلك حتى لايفهم الناس أن الرزق يأتي من أسبابه وحدها. أيها الناس: إن الإنسان المومن يعيش بين أمرين، أن يعمل لكي يصل إليه الرزق، وهذا أمر صريح، وأمر آخر، هو أن لايتوكل على العمل، ويتجاهل قدرة الله، ولذلك قالوا: القلوب تتوكل، والجوارح تعمل، فالتوكل صفة للقلوب، وليس صفة للجوارح، ولكن الجهال عكسوا القضية.

ولقد ظهرت هذه الحكمة جلية في سعي هاجر بين الصفا والمروة بحثا عن الماء حين تركها الخليل عليه السلام هي وابنها إسماعيل في مكان ليس فيه السبب الأول للحياة وهو الماء، وقد آمنت هاجر بأن الله لن يضيعها مادام هذا أمره، ولكن إيمانها هذا لم يمنعها حين عطش ابنها من أن تذهب إلى الصفا وإلى المروة بحثا عن بعض المارة. أو عن طير يهديها إلى الماء. كان يكفيها مرة واحدة، لكي تثبت لنفسها أنها عملت، وأنها أخذت بالأسباب لتهتدي إلى الماء، ولكنها اجتهدت في ذلك سبعة أشواط.

آمنت هاجر بأنها هنا بأمر الله، وإن الله لن يضيعها، ومع ذلك لم تترك العمل في الأسباب حتى تعبت، ولقد أراد الله هنا لنا أن نفهم حكمتين:

الحكمة الأولى: أنها لو وجدت الماء أثناء سعيها لكانت هذه الأسباب وحدها تكفي، لكنه أراد أن يبين لنا أنه رغم اليقين بأن الله سيجعل لنا مخرجا، فإن السعي واجب.

الحكمة الثانية: أنها بعد هذا الجهد الشاق، وجدت الماء تحت قدم ولدها فكأن الله تعالى يقول لها: رغم عملك الشاق الذي قمت به، فقد أخرجت لك الماء بضربة من قدم طفل صغير.

ومن هنا نفهم حقيقة التوكل كما أرادها الله، وأنه هو عمل القلب، وليس عمل الجوارح، ولكن المتواكلين يفهمون التوكل على أنه عمل الجوارح، فضلوا وأضلوا، وأعطوا سلاحا لأعداء الإسلام ضد الإسلام اللهم اجعلنا من المتوكلين حقيقة...

التوبة والاستغفار

إعداد الأستاذ:
عبد العزيز كنون

■ لقد كان من عظيم فضل الله على عباده، ومن جميل لطفه بهم، ومن واسع رحمته عليهم أن فتح لهم باب توبته ونشر لهم بساط رحمته، وبسط عليهم جناح عفوه ودعاهم إلى مائدة الرضى والغفران، وإذا كان من شأن الإنسان أن تجنح به نفسه في بعض الأحيان وأن يغلب عليه هواه ويدفع به إلى نوازعه البشرية في بعض الأحوال إلى التفريط والتقصير في حق من حقوق الله وإلى مخالفة أحكام الله وشريعته فينحرف عن جادة الصواب والطريق القويم ويخطئ في حق الله أو في حق العباد فيزل ويخرج عن الصراط المستقيم فإن الله سبحانه فتح للعاصي والمخطئ باب التوبة والاستغفار، وفتح للمذنب والآثم باب المغفرة والرحمة والرضوان، وذلك بالإنابة والرجوع إليه سبحانه والندم على ما مضى والعزم الصادق على ترك ما فات، والعزم الصادق على القيام بالفرائض والواجبات والله يقول في كتابه الحكيم: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وأي فضل بعد فضل الله على عباده، قد أطمعهم في حلمه ورغبهم في عفوه، يعصون ويستر عليهم ويذنبون ويغفر لهم ويسيئون ويعفو عليهم، ولولا إكرام الله لعباده بالتوبة والمغفرة مادخل الجنة منهم أحد، ولانجا من النار إنسان، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولاأنت يارسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته).

التوبة عودة إلى الله، عودة إلى الأصل، ومن رحمته أن أعطانا حق التوبة فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون المستغفرون، ليس عجيبا أن يذنب الإنسان، ليس عجيبا أن يتورط في المعصية، فهذه طبيعة خلقته وأنه خلق خلقا مزدوجا فيه قبضة الطين وفيه نفخة الروح، الطين يهوي به إلى أسفل والروح ترقى به إلى أعلى، وأحيانا يميل إلى الطين ويخلد إلى الأرض ويكون كالحيوان أو أضل سبيلا، وأحيانا يعلو ويعلو حتى يكون كالملائكة أو أرفع مقاما، إذا فالسبيل الأوحد لغسل آثار الخطايا ومعالم الآثام هو التوبة إلى الله والخوف، والخطر أن يغفل الإنسان عن التوبة ويستمر في طريق الشيطان ولايحس بما هو فيه من خطأ وخطيئة، هو الخطر، ويأتي هذا الخطر من طول الأمد، أن يستبعد فيقول أن الموت لا زال بعيدا، ويتمادى في طريق المعصية ويتوغل فيه، أن ينسى ربه وينسى التوبة فتتراكم عليه الذنوب. فعلى المؤمن أن يسارع إلى ربه، الله يقول: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) ومن فهم أن الذنب مهما عظم فإن عفو الله أعظم، وأن من يظن أن ذنبا لايتسع له عفو الله ومغفرته فقد ظن بربه ظن السوء لأن القنوط من رحمة الله من أعظم كبائر الذنوب، قال تعالى : (إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون).

التوبة عبادة باطنية، إنها العبادة التي تتعلق بالقلب، والقلب هو حقيقة الإنسان، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ألاوإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله) فالقلب هو موضع نظر الله، هو الحجة التي تقدمها بين يدي الله تعالى يوم القيامة، هو المستند الفذ التي تثبت به براءتك، وتثبت صحة إيمانك، فإنك لاتستطيع أن تسلك الطريق إذا كنت تحمل أثقالا تؤذي ظهرك، لاتستطيع أن تمشي بها إلى الأمام لابد أن تسقط هذه الذنوب، تسقطها بالتوبة والاستغفار كأن الأصل أن تكون مع الله دائما لاتفارقه، وكيف تستطيع أن تفارقه ووجودك مستمد من وجوده وروحك من روحه. والله يقول في كتابه الحكيم: (ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) إن الإسلام الحنيف بأسلوبه هذا بالتحريض على الاستغفار يريد أن لايصادم الطبيعة البشرية بل يتماشى معها بما يلائمها إذ هو يعرف أن الإنسان بطبيعته خطاء قد كتب عليه حضه في النقص والعيب، فلو سد في وجهه باب الندم والتوبة لأخلد إلى الأرض وأفلس من أول الطريق فليلتمس الإسلام للخاطئ عذرا، وليبسر لتقويمه أمرا، وهو أن يحرضه على الاستغفار المشتمل على قوى التذكار والاستحضار المؤدي إلى لون من المحاسبة والمراقبة التي تحيي موات الضمير في الإنسان وتنقله من بيداء الضلال إلى جادة الأمان، ولعل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام حينما كان يحرض أصحابه على الاستغفار ويخبرهم أنه يستغفر في اليوم سبعين مرة لم يقصد نفع نفسه، أو التخلص من ذنوب نسبت إليه وهو المعصوم الذي غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، ولكنه قصد أن يعلم أصحابه وأتباعه كيف يفيقون بعد غفلة، ويستقيمون بعد زلة، ولا عجب فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، ومن أغراض الاستغفار والمتاب في الإسلام إظهار فضل الرحمان الرحيم على عباده الضعفاء الحيارى فهو الذي برأهم وهو الذي أنعم عليهم، وهو القائل في كتابه: (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون) ومن ثمرة الاستغفار الذي جعله الإسلام متكررا ماتكرر الذنب والخطأ، تربية الحياء والخجل في نفس الإنسان، ولا ننسى أيضا ما في الاستغفار والدعاء والمناجاة من لذة روحية وطمأنينة نفسية وثبات وتباعد عن صخب الحياة واتصال بالملأ الأعلى، في ذلك استعداد قوي وتهيئ فعال لحسن التحول وكريم الاتجاه، ولعل هذا هو مغزى الحديث النبوي الشريف، قال صلوات الله وسلامه عليه : (من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب)الكمال المطلق للبشر محال، والعصمة للأنبياء والمرسلين، ولنطو صفحات الخاطئ ولنستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم، فلنبدأ الطريق الجديد مع الله بالتوبة لقطعه علينا الحليم الكريم.

كتاب صدر

صدر العدد 314 من مجلة "الهداية" الصادرة عن وزارة الشؤون الإسلامية بمملكة البحرين وقد جاء هذا العدد حافلا بالأبحاث والدراسات نذكر منها:

الإسراء والمعراج في منطق العلم الحديث
دور الدين في تعزيز الصحة العامة
شروط التعلم والتعليم
الاقتصاد الإسلامي
قبسات من عظمة الرسول
شهر شعبان المعظم وواجب الأمة ناحية المسجد الأقصى.
إلى غير ذلك من الأبحاث الهامة .

الصفيحة

ألف كل ذي مهنة أن يضع على بابه رقعة معدنية، للتعريف به وبحرفته التي يمارس. وقد ظلت هذه الأداة بدون اسم صحيح، لأنهم يعبرون عنها غالبا، باسم مركب أو بشبه جملة مثل (اللوحة المعدنية) والحال أن لها اسما من كلمة واحدة هو الصفيحة.

ومعنى الكلمة المدون بالمعاجم هو كل عريض من حجارة أو لوح. وهي من الفعل صفح اللازم. بمعنى عرض وصفحه المتعدى بمعنى جعله عريضا ويجمعها جناس وتقارب في المعنى بكلمة صحيفة (بتقديم الحاء) التي تعنى الرقعة من الورق المعدة للكتب. وقد صاغ الشاعر أبو تمام من هذا الجناس بيته المشهور:

بيض الصفائح لاسود الصحائف في
متونهن جلاءالشك والريب

الوارد في بائيته المشهورة، وهو توسيع للمعنى الذي عبر عنه في مطلع البائية (السيف أصدق أنباء من الكتب)

التي خلدت ومجدت فتح عمورية ونخوة المعتصم، وسخرت من تخرص المنجمين وكذبهم المقعد عن الجهاد، والمخذل عن النصر، ومدحت العزم والتوكل على الله، والمبادرة إلى الواجب حين يجب!

فالصفيحة إذن هي البديل الصحيح لعبارة (اللوحة المعدنية) وغيرها مما يستعمل خطأ للتعريف بهذا المسمى ولذا وجب التذكير بالكلمة لإحيائها.

(1) المنجد والمعجم الربط.

■(الحادية عشر) . إذ روى ثقة عن ثقة حديثا ورجع المروي عنه فنفاه فالمختار أنه إن كان جازما بنفيه بأن قال ما رويته أو كذب علي أو نحو ذلك فقد تعارض الجزمان والجاحد هو الأصل فوجب رد حديث فرعه ذلك . ثم لا يكون ذلك جرحا له يوجب رد باقي حديثه لأنه مكذب لشيخه أيضا في ذلك وليس قبول جرح شيخه له بأولى من قبول جرحه لشيخه فتساقطا. أما إذا قال المروي عنه لا أعرفه أولا أذكره أو نحو ذلك. فذلك لا يوجب رد رواية الراوي عنه . ومن روى حديثا ثم نسيه لم يكن ذلك مسقطا للعمل به عند جمهور أهل الحديث وجمهور الفقهاء والمتكلمين خلافا لقوم من أصحاب أبي حنيفة صاروا إلى إسقاطه بذلك وبنوا عليه ردهم حديث سليمان بن موسى عن الزهري عن عروة عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نكحت المرأة بغير إذن وليها فنكاحها باطل، الحديث من أجل أن ابن جريج قال لقيت الزهري فسألت عن هذا الحديث فلم يعرفه.

وكذا حديث ربيعة الراي عن سهيل بن ابي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بشاهد ويمين فإن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال لقيت سهيلا فسألته عنه فلم يعرفه.

والصحيح ما عليه الجمهور، لأن المروي عنه بصدد السهو والنسيان والراوي عنه ثقة جازم فلا يرد بالاحتمال روايته . ولهذا كان سهيل بعد ذلك يقول حدثني ربيعة عني عن أبي ويسوق الحديث.

وقد روى كثير من الأكابر أحاديث نسوها بعد ما حدثوا بها عن من سمعها منهم فكان أحدهم يقول حدثني فلان عني عن فلان بكذا وكذا. وجمع الحافظ الخطيب ذلك في كتاب أخبار من حدث ونسي.

ولأجل أن الإنسان معرض للنسيان من كره من كره من العلماء الرواية عن الأحياء . منهم الشافعي رضي الله عنه. قال لابن عبد الحكم إياك والرواية عن الأحياء والله أعلم.

(الثانية عشرة) من أخذ على التحديث أجرا منع ذلك من قبول روايته عند قوم من أئمة الحديث ورويناعن إسحاق ابن إبراهيم أنه سئل عن المحدث يحدث بالأجر. فقال لا يكتب عنه . وعن أحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي نحو ذلك. وترخص أبو نعيم الفضل بن دكين وعلي بن عبد العزيز المكي وآخرون في أخذ العوض على التحديث وذلك شبيه بأخذ الأجرة على تعليم القرآن ونحوه. غير أن في هذا من حيث العرف خرما للمروءة والظن يساء بفاعله إلا أن يقترن ذلك بعذر ينفي ذلك عنه كمثل ما حدثنيه الشيخ أبو المظفر عن أبيه الحافظ أبي سعيد السمعاني أن أبا الفضل محمد بن ناصر السلامي ذكر أن أبا الحسين بن النقور فعل ذلك لأن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أفتاه بجواز أخذ الأجرة على التحديث لأن أصحاب الحديث كانوا يمنعونه عن الكسب لعياله والله أعلم.

(الثالثة عشرة). لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماع الحديث أو إسماعه كمن لا يبالي بالنوم في مجلس السماع، وكمن يحدث لامن أصل مقابل صحيح ومن هذا القبيل من عرف بقبول التلقين في الحديث ولا تقبل رواية من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه. جاء عن شعبة أنه قال لا يجيئك الشاذ إلا من الرجل الشاذ . ولا تقبل رواية من عرف بكثرة السهو في رواياته إذا لم يحدث من أصل صحيح وكل هذا يخرم الثقة بالراوي ويضبطه.

وورد عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل والحميدي وغيرهم أن من غلط في حديث وبين له غلطه فلم يرجع عنه وأصر على رواية ذلك الحديث سقطت روايته ولم يكتب عنه . وفي هذا نظر وهو غير مستنكر إذا ظهر أن ذلك منه على جهة العناد أو نحو ذلك والله أعلم.

(الرابعة عشرة). أعرض الناس في هذه الأعصار المتأخرةعن اعتبار مجموعة ما بينا من الشروط في رواة الحديث ومشايخه فلم يتقيدوا بها في رواياتهم لتعذر الوفاء بذلك على نحو ما تقدم. وكان عليه من تقدم . ووجه ذلك ما قدمناه في أول كتابنا هذا من كون المقصود المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد والمحاذرة من انقطاع سلسلتها فليعتبر من الشروط

تأليف الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهروري المعروف بابن الصلاح

الحلقة الثانية

المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجرده وليكتف في أهلية الشيخ بكونه مسلما بالغا عاقلا غير متظاهر بالفسق والسخف، وفي ضبطه بوجود سماعه مثبتا بخط غير متهم وبروايته من أصل موافق لأصل شيخه.

وقد سبق إلى نحو ما ذكرناه الحافظ الفقيه أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى فإنه ذكر فيما رويناه عنه توسع من توسع في السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا يحسنون قراءته من كتبهم ولا يعرفون ما يقرأ عليهم بعد تكون القراءة عليهم من أصل سماعهم.

ووجه ذلك بأن الأحاديث التي قد صحت أو وقعت بين الصحة والسقم قد دونت وكتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث. ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم وإن جاز أن يذهب على بعضهم لضمان صاحب الشريعة حفظها.

قال البيهقي: فمتى جاء اليوم بحديث لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه، من جاء بحديث معروف عندهم فالذي يرويه لا ينفرد بروايته والحجة قائمة بحديثه برواية غيره. والقصد من روايته والسماع منه أن يصير الحديث مسلسلا بحدثنا وأخبرنا وتبقى هذه الكرامة التي خصت بها هذه الأمة شرفا لنبينا المصطفى صلى الله عليه وعلى اله وسلم والله أعلم.

(الخامسة عشرة). في بيان الألفاظ المستعملة من أهل هذا الشأن في الجرح والتعديل . وقد رتبها أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في كتابه في الجرح والتعديل فأجاد وأحسن . ونحن نرتبها كذلك ونورد ما ذكره ونضيف إليه ما بلغنا في ذلك عن غيره إن شاء الله تعالى.

أما ألفاظ التعديل فعلى المراتب:

(الأولى) قال ابن أبي حاتم إذا قيل للواحد إنه ثقة أو متقن فهو ممن يحتج بحديثه.

قلت : وكذا إذا قيل ثبت أو حجة ، وكذا إذا قيل في العدل إنه حافظ أو ضابط والله أعلم.

(الثانية) قال ابن أبي حاتم إذا قيل إنه صدوق، أو محله الصدق، أو لا بأس به، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه وهي المنزلة الثانية.

(قلت) هذا كما قال لأن هذه العبارات لا تشعر بشريطة الضبط فينظر في حديثه ويختبر حتى يعرف ضبطه ، وقد تقدم بيان طريقه في أول هذا النوع.

وإن لم يستوف النظر المعروف لكون ذلك المحدث في نفسه ضابطا مطلقا واحتجنا إلى حديث من حديثه اعتبرنا ذلك الحديث ونظرنا هل له أصل من رواية غيره كما تقدم بيان طريق الاعتبار في النوع الخامس عشر، ومشهور عن عبد الرحمن ابن مهدي القدوة في هذا الشأن أنه حدث فقال : حدثنا أبو خلدة فقيل له أكان ثقة؟ فقال: كان صدوقا وكان مأمونا وكان خيرا، وفي رواية : كان خيارا الثقة شعبة وسفيان.

ثم إن ذلك مخالف لما ورد عن ابن أبي خيثمة، قال : قلت ليحيى بن معين إنك تقول فلان ليس به بأس وفلان ضعيف ، قال: إذا قلت لك ليس به بأس فهو ثقة ، وإذا قلت لك هو ضعيف فليس هو بثقة لا تكتب حديثه.

(قلت) ليس في هذا حكاية ذلك عن غيره من أهل الحديث فإنه نسبه إلى نفسه خاصة، بخلاف ما ذكره ابن حاتم والله أعلم.

(الثالثة) : قال ابن أبي حاتم : إذا قيل شيخ فهو بالمنزلة الثالثة يكتب حديثه وينظر فيه إلا أنه دون الثانية.

(الرابعة) قال إذا قيل صالح الحديث فإنه يكتب حديثه للاعتبار.

قلت : وقد جاء عن أبي جعفر أحمد بن سنان ، قال كان عبد الرحمان بن المهدي ربما جرى ذكر حديث الرجل فيه ضعف وهو رجل صدوق فيقول رجل صالح الحديث والله أعلم .

وأما ألفاظهم في الجرح فهي أيضا على مراتب.

(أولاها) قولهم ليّنُ الحديث. قال ابن أبي حاتم : إذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا.

قلت وسأل حمزة بن يوسف السهمي أبا الحسن الدارقطني الإمام، فقال له إذا قلت فلان لين إيش تريد به، قال لا يكون ساقطا متروك الحديث ولكن مجروحا بشيء لا يسقط عن العدالة.

(الثانية) قال ابن أبي حاتم: إذا قالوا ليس بقوي فهو بمنزلة الأول في كتب حديثه إلا أنه دونه.

الثالثة) قال : إذا قالوا ضعيف الحديث فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبريه.

(الرابعة) قال: إذا قالوا متروك الحديث أو ذاهب الحديث أو كذاب فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه وهي المنزلة الرابعة.

قال الخطيب أبو بكر أرفع العبارات في أحوال الرواة أن يقال حجة أو ثقة ، وأدونها أن يقال كذاب ساقط ، أخبرنا أبو بكر بن عبد المنعم الصاعدي الفراوي قراءة علية بنيسابور قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل الفارسي ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الحافظ، أخبرنا الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب بن سفيان ، قال : سمعت أحمد بن صالح قال لا يترك حديث رجل حتى يجتمع الجميع على ترك حديثه، قد يقال فلان ضعيف ، فأما أن يقال فلان متروك فلا إلا أن يجمع الجميع على ترك حديثه.

ومما لم يشرحه ابن أبي حاتم وغيره من الألفاظ المستعملة في هذا الباب قولهم فلان قد روى الناس عنه ، فلان وسط، فلان مقارب الحديث، فلان مضطرب، فلان لا يحتج به، فلان مجهول، فلان لاشيء، فلان ليس بذاك، وربما قيل ليس بذاك القوي، فلان فيه أو في حديثه ضعف ، وهو في الجرح أقل من قولهم فلان ضعيف الحديث ، فلان ما أعلم به بأسا، وهو في التعديل دون قولهم لا بأس به، ومامن لفظة منها ومن أشباهها إلا ولها نظير شرحناه، أو أصل أصلناه ننبهُ إن شاء الله به عليها والله أعلم.

فضل الصحابة وعدالتهم

■ إعداد الأستاذ: الزايدي طويل

■ لقد أخلص الصحابة لله ولرسوله ولدينهم، حيث كانت تهون الأرواح والدماء والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله، لذا فإن عدالتهم ثابتة بفضل ما ثبت عنهم من مواقف وما شهدت لهم به نصوص الشرع، وما أجمع علماء عليه الأمة. فأما ما ورد في شأنهم في القرآن الكريم ما يلي : قوله تعالى في سورة الحشر الآيات 8 . 9 .10(للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولائك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولائك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم»

وقوله عز وجل في سورة التوبة الآية 100: « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم »

وقوله تعالى في سورة الأنفال الآية:74: « والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله والذين ءاووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم».

وفي سورة الفتح الآية 18: « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا».

وإذا تأملنا في أسباب نزول هذه الآيات ، وجدناها تخص الصحابة ، وأما إذا اعتبرنا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإن الآيات شاملة لكافة المؤمنين، وأن الصحابة أول من يخاطب ما داموا أنهم شاهدوا التنزيل وواكبوا الوحي.

أما الأحاديث التي تخصهم بالشرف والفضل منها:

حديث أبي بردة الأسلمي عن أبيه مرفوعا « النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » أخرجه مسلم

. حديث أبي سعد الخدري « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» متفق عليه.

. حديث عبد الله بن مغفل أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه مرفوعا « ليبلغ الحاضر الغائب الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم عرضا بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يؤخذه من يأخذه الله فيوشك أن لا يقتله»

والأحاديث في فضل الصحابة عديدة، جمعها أهل الحديث وأفردوا لها كتبا وأبوابا ضمن مصنفاتهم حيث ألفوا في مناقبهم وآدابهم وأخلاقهم .ففي صحيح البخاري فضائل الصحابة ، ولمسلم في صحيحه كتاب الفضائل ، وفي أبواب المناقب جمع الترميذي أحاديث في شأنهم ، كما أن ابن ماجة كتب عن فضائل الصحابة في مقدمة السنن وخصهم الحاكم في ماسماه "باب في معرفة الأصحاب" ، وفي صحيح بن حبان كتاب المناقب.

وقد أجمعت الأمة على عدالتهم ، وهو مذهب أهل السنة ، فعدلوا كل الصحابة ، وبذلك سدوا كل الذرائع أمام كيد الكائدين وتشويش المغرضين ، الذين لا يعلنون عداءهم للإسلام ولكنهم ينهشون في أركانه ويطعنون في رجالاته ، وهذا ما لم يخل منهم عصر من الأعصر أو زمن من الأزمان، لكن الله قيض لدينه علماء فضحوا مؤامرات المتآمرين وكشفوا دسائس المغرضين، وبينوا الوجه المشرق للإسلام والمسلمين.

يقول الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية: « .. على أنهم لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرنا لأوحت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم وأنهم أفضل من المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبدين....»

فضل الصحابة ومرتبتهم:

إن تفاوت الصحابة في الفضل والرتبة مؤسس له في القرآن الكريم ، يقول تعالى: « لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » سورة الحديد الآية 10.

ولا ضير في ذلك فإن كانوا في الفضل والشرف متفاوتين حسب السبق في الدين والمناصرة ، فشرف الصحبة يشملهم جميعا، وصفة العدالة تعمهم قاطبة . قال ابن حجر في شرح النخبة : « ... لاخفاء برجحان رتبة مَنْ لازمه صلى الله عليه وسلم وقاتل معه أو قتل معه تحت راية، على من لم يلازم أو لم يحضر معه . المشاهد . أو رآه على بعد أوفي حالة طفولة ، وإن كان شرف الصحبة حاصلا للجميع....» ولهذه الاعتبارات السابقة قسم العلماء الصحابة إلى مراتب وطبقات ومنها تقسيم الحاكم في معرفة علوم الحديث، يقول: « ... النوع السابع في هذا العلم معرفة الصحابة على مراتبهم ، فأولهم قوم اسلموا بمكة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، والطبقة الثانية من الصحابة: أصحاب دار الندوة أي من أسلم بدار الندوة بعد إسلام عمر ، والطبقة الثالثة: المهاجرة إلى الحبشة ، والطبقة الرابعة: من بايعوا عند العقبة الأولى، والطبقة الخامسة: أصحاب العقبة الثانية وأكثرهم من الأنصار . والطبقة السادسة: من وصل إلى المدينة والرسول بقباء قبل أن يدخل المدينة ، والطبقة السابعة: أهل بدر والطبقة الثامنة: من هاجر بين بدر والحديبية. والتاسعة: أهل البيعة الرضوان بالحديبية. والطبقة العاشرة: المهاجرة بين الحديبية والفتح . والطبقة الحادية عشر: من أسلم يوم الفتح. والطبقة الأخيرة: الصبيان والأطفال الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كالسائب بن زيد وعبد الله بن ثعلبة وعموم من جاء بعد الفتح من الأعراب والقبائل....»

الحكمة في معرفة فضل الصحابة وشرفهم:

لما كان الإيمان مراتب يزيد وينقص ، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وكان الصحابية على درجات عالية من الإيمان والآداب والأخلاق، خاصة وأنهم تربوا في حضن النبوة ، وشربوا من ينبوعها ونهلوا من معينها ، فإن في معرفتهم تنبيه على الاتساء والاقتداء بهم وما هم عليه من مناقب الخير ومكارم الأخلاق والبذل والسخاء والصبر والمصابرة والعطاء.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

رحلة الحج وآثارها التربوية والأخلاقية

■ **يقوم الإنسان خلال حياته برحلات إلى هذا البلد أو ذاك، وما أكثر البلدان التي يرحل إليها بحثا عن فائدة أو علم أو رغبة في مال أو طلبا للراحة والاستجمام ، أو هجرة للبحث عن مقام أفضل أو مكان أفيد ، لكن هذه الرحلات كلها تختلف عن الرحلة التي يقوم بها المسلم قاصدا بيت الله مؤديا لواجب الإسلام، ملبيا لنداء الله سبحانه، هي رحلة يتجه فيها الإنسان جسما وروحا، فكرا وشعورا، استجابة وتوجها إلى الله وحده، امتثالا لأمره واتباعا لنبيه، تاركا بيته وأهله، وماله وجاهه، مطهرا قلبه، مطلقا شهواته مودعا أبناءه وأهله ، يعصره الشوق إلى بيت الله ، ويلهبه الحنين إلى رحابه ويؤرقه الحب إلى زمزم والمقام، ويقتله الوجد إلى زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم السلام عليه، إنه يهفو إلى القبلة التي يتجه إليها كل يوم خمس مرات بجسمه وروحه وعقله ومشاعره.**

لقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الحجاج بأنهم وفد الله إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم، إنه يتجه إلى عمل من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، بل هو جهاد لاشوكة فيه، إنه جهاد الكبير والضعيف ، وجهاد النساء ، إنه أفضل الجهاد وأحسنه وأجمله لهن.

إن الحج مؤتمر سنوي حدد الله سبحانه تاريخ انعقاده ، ومكانه ورتب برامجه في أيامه كلها ، وهو يدعو عباده لحضوره مرة واحدة في العمر ما أمكن ذلك، ومتى توفرت القدرة المادية، والطاقة الجسمية، وسبل الأمن، ووسائل السلامة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله وصحته وراحلته وزاده. والحاج يمارس أنواعا من السلوك الذي يوجه إليه بطريقة عملية ، عليه أن ينفذها ويخضع لها دون تفكير في حقيقتها وفائدتها بل باعتبارها من الشعائر التعبدية التي أمر المسلم بها، فهو يبدأ بالطاعة بلباس موحد يلتزم به مع إخوانه المسلمين ، وهو يخضع لبرنامج يومي يحدد له الأمكنة التي يكون بها والمواقيت المطلوبة لها ، كما أنه مطالب بأوامر يؤديها حيث يقف بعرفة ويطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويرمي الشيطان ويذبح ويحلق ويقيم في مكان معين، كما أنه ملتزم بالابتعاد عن كل شيءمنهي عنه من الرفث والفسوق والجدال والصيد والنكاح ولبس المخيط، ثم هومطالب بأداء مناسكه بنظام محدد له، حيث يطوف بالبيت سبعا بادئا بالحجر الأسود منتهيا إليه، ساعيا بين الصفا والمروة مبتدئا بالصفا منتهيا بالمروة وهو يرمي الجمرات بادئا بجمرة العقبة وهو يقف بعرفة في يوم معين وساعات معلومة ، ثم يفيض إلى المشعر الحرام، داعيا الله في كل ذلك خاشعا تائبا مجددا للعهد ، مستغفرا للذنب..

هل يعصم المنطق الصوري عن الخطأ ولا يعصم المؤلفين لضوابطه عن الوقوع فيه؟

إعداد
الأستاذ :
محمد
الرمشاني

■ إن فائدة علم المنطق الصوري هو التوصل بالمعلوم من تصور وتصديق إلى المجهول من ذلك ، وإن شئت قلت هو الاحتراز عن الخطإ في الفكر ، وتسمى الفائدة أيضا غاية وغرضا.

وهو من هذه الناحية فن من فنون أو صناعة كما يسميه مناطقة العرب ، هذا إذا أردنا بالفن الناحية العملية للعلم الذي يستمد أصوله منه كفن التعليم الذي هو الناحية العملية لعلمي النفس والتربية، وكفن الصباغة الذي هو الناحية العملية لعلم الكمياء ، فالمنطق بهذا المعنى علم وفن أو صناعة في آن واحد، وهو يبحث دائما في قوانين الفكر لمعرفة الصحيح منه والفاسد، ولما كان الفكر أساس كل علم من العلوم بل أساس الحياة الإنسانية كلها، كان المنطق أساس العلوم جميعها ، بل أساس الحياة كلها.

قال في شرح المقاصد ما يتأدى إليه الشيء ويترتب عليه، يسمى من هذه الحيثية غاية ، يعني من ترتبه على الشيء وتأدي الشيء إليه من حيث يطلب بالفعل غرضا.

ولما كان المنطق يبحث عن أحوال المعلوات التصويرية والتصديقية ليتوصل بذلك إلى المجهول من تصور أو تصديق وهو التوصل : إما مباشرة أو بواسطة.

فلهذا انحصر نظر المنطقي في أحكام التعريفات ومبادئها وأحكام الحجج ومبادئها.

أما مبادئ الحجج فهي : القضايا، وكانت هذه القضايا تنقسم إلى قسمين:

1) شرطية.

2) حملية.

وعلى هذه القضايا بني القياس المنطقي، والقياس هو المقصى الأقصا والمطلب الأعلى من علم المنطق، إذ هو العمدة في تحصيل المطالب التصديقية التي هي أشرف من التصويرية.

والقياس هو تركيب مقدمات إذا صحت لزم عنها آخر يسمى ذلك بنتيجة القياس.

وبالقياس تتركب الحجة ، وأسمى حجة وأجلاها هو البرهان الذي يتألف من مقدمات ليتوصل في النهاية إلى النتيجة الحتمية التي تدحض الخصم.

في ذلك يشير صاحب السلم:

أجلها البرهان ما ألف من
مقدمات باليقين تقترن

ونعود إلى القضايا الحملية وهي ما تركبت من موضوع ومحمول أي من محكوم عليه ومحكوم به، فمثلا إذا قلنا : سعيد قادم ، فـ(سعيد) موضوع ، و(قادم) محمول، مجموعها يسمى قضية حملية ، وكل منهما يسمى حدا، ثم إن القياس يقتضي مقدمتين : 1) صغرى ، 2) وكبرى.

فما احتوت على الحد الأصغر تسمى صغرى.

وما احتوت على الحد الأكبر تسمى الكبرى.

كما قال الأخضري:

وذات حد أصغر صغراهما
وذات حد أكبر كبراهما

فمثال :(سعيد مراكشي) ، (وكل مراكشي إفريقي) ، والنتيجة هي سعيد إفريقي.

فكانت المقدمة (سعيد مراكشي) صغرى ، لاحتوائها على الحد الأصغر وهو سعيد).

وقولك: (وكل مراكشي افريقي) كبرى لاحتوائها على الحد الأكبر وهو (افريقي).

فالحد الوسط هو الذي يلغى في النتيجة.

ثم إن بالنظر إلى المقدمتين المتكونتين من صغرى وكبرى نجد حدا وسطا يتكرر في كل منهما، أي نجده في الصغرى والكبرى.

ففي المثال السابق نجد الحد الذي هو (مراكشي) جاء محمولا في الصغرى وموضوعا على الكبرى ، وهذا يسمى بالشكل الأول.

وإن جاء الحد الوسط محمولا فيهما كان الشكل الثاني ، وإن جاء موضوعا فيهما يسمى بالشكل الثالث، وإن جاء موضوعا في الصغرى ومحمولا في الكبرى يسمى بالشكل الرابع.

انظر الجدول رقم 1

إذا الأشكال الأربعة ، تختلف بحسب اختلاف الحد الوسط في كل من المقدمتين، ومجموع المقدمتين يسمى ضربا.

ولما كانت القضايا الحملية التي تدور في نطاق هذه الأشكال أربعة هي:

1) كلية موجبة.

2) كلية سالبة.

3) جزئية موجبة.

4) جزئية سالبة.

وهذه الأربعة قد تكون في الصغرى وقد تكون في الكبرى ،فيكون في كل شكل 16 ضربا ، وذلك بضرب أربعة في أربعة يكون خارج الضرب 16، فيتعين أن يكون في كل شكل 16 ضربا ثم تضرب 16 في أربعة عدد الأشكال يخرج 64 ضربا، وأضرب كل شكل ليست كلها منتجة فبعضها منتج وبعضها عقيم.

فالأول ينتج أربعة، والثاني كذلك ، والثالث ستة، والرابع خمسة.

فإذا جمعنا هذا وجدنا 19 ضربا كلها منتجة ، فإذا نقصناها من 64 تبقى 45 ضربا ، كلها عقيمة.

هذا ما تقرر من الضوابط في نتائج القياس المنطقي من القضايا الحملية ،وقد وضعوا ضوابط لإنتاج كل شكل.

فقالوا عن الشكل الأول : كما قال في السلم

فشرطه الإيجاب في صغراه
وأن ترى كلية كبراه

وعن الشكل الثاني فقال:

والثاني أن يختلفا في الكيف مع
كلية الكبرى له شرط وقع

وعن الثالث قال:

والثالث الإيجاب في صغراهما
وأن ترى كلية إحداهما

وعن الرابع قال :

ورابع عدم الجمع الخستين
إلا بصورة ففيها تستبين
صغراهما موجبة جزئية
كبراهما سالبة كلية

وهنا وصلنا إلى بيت القصيد، ففي هذا الضابط. في الشكل الرابع . وقع سهو كبير أطبقت عليه جميع المؤلفات في هذا الفن، ولا أدري ما السبب الذي جعل كل هذا الكم الغفير من العلماء يتواطأون عليه؟ ولعل السبب في ذلك هو أنهم ينقل بعضهم عن بعض دون روية وتمحيص.

وبيان في ذلك يتضح من الجدول الذي وضعته تسهيلا للفهم.

هذا الجدول رقم 2 يحتوي على 64 ضربا لجميع الأشكال ، فإذا نظرت إليه أفقيا تجد الأشكال الأربعة .. وإذا نظرت إلى طوله من علي اليمين تجد عدد الأضرب من 1 إلى 16، ثم تجد أمام كل رقم رمزا لكل من المقدمتين : الصغرى ، والكبرى ، وعددها 16 في كل شكل ، وقد رمزت للموجبة الكلية بـ (مك) وللموجبة الجزئية بـ (مج) ، وللسالبة الكلية بـ (سك)، وللسالبة الجزئية بـ (سج).

فادخل بكل ضرب من اليمين وبالشكل من الأعلى تجد في الخانة علامة X ، تدل هذه على أن هذا الضرب منتج، وإن وجدت الخانة فارغة فاعلم أن الضرب عقيم.

ثم نتطلع ونتتبع الشكل الرابع لنكتشف الخطأ فنقول:

قالوا في ضابط إنتاجه كما سبق بأن لا تجمع في إحدى مقدمته خستان أو فيهما معا والخسة هي : الجزء، والسلب ، وبالرجوع إلى الجدول نجد:

. الضرب رقم 1 فيه موجبة كلية صغرى ، وموجبة كلية كبرى،

فهذا ضرب منتج لأنه لا خسة فيه.

. الضرب رقم 2 فيه موجبة كلية صغرى وموجبة جزئية كبرى هذا فيه خسة واحدة في الكبرى ، فهذا منتج أيضا.

. الضرب رقم 3 فيه موجبة كلية صغرى ، وسالبة كلية كبرى ، إذا هذا فيه خسة واحدة في الكبرى ، فهذا منتج أيضا.

. الضرب رقم 5 فيه موجبة جزئية صغرى وموجبة كلية كبرى ، هذا فيه خسة واحدة في الصغرى ، هذا منتج أيضا،

. الضرب رقم 7 هذا هو المستثنى من القاعدة ، الذي قال فيه صاحب السلم:

إلا بصورة
ففيها تستبين
صغراهما موجبة جزئية كبراهما سالبة كلية.

وهو متركب من موجبة جزئية صغرى وسالبة كلية كبرى، فقد اجتمع في هذا الضرب خستان : خسة في الصغرى ، وخسة في الكبرى، وطبقا للقاعدة الاستثنائية فهو منتج.

الضرب رقم 9 فيه سالبة كلية في الصغرى ، وموجبة كلية في الكبرى فهذا منتج أيضا ، لوجود خسة واحدة في المقدمة الصغرى.

فإذا جمعت هذه الأضرب المنتجة التي ذكرناها هنا وهي : رقم 1، ورقم 2 ، ورقم 3 ، ورقم 5، ورقم 7 ورقم9.

تجدها ستة أضرب منها خمسة فيها خسة واحدة، وضرب واحد فيه خستان مستثنى من القاعهدة.

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا تجدهم دائما وباتفاقهم كلهم أن الشكل الرابع ينتج خمسة أضرب ، وبالتمحص والتتبع تجدها ستة لا خمسة، وهذا هو السهو الذي لا ندري كيف فات هؤلاء ولم ينتبهوا له.

جدول قم 1

	المقدمة الصغرى		المقدمة الكبرى	
	الموضوع	المحمول	الموضوع	المحمول
الشكل الأول	—	#	#	—
الشكل الثاني	—	#	—	#
الشكل الثالث	#	—	#	—
الشكل الرابع	#	—	—	#

الحد الوسط

جدول رقم 2

الضرب	الصغرى	الكبرى	الشكل الأول	الشكل الثاني	الشكل الثالث	الشكل الرابع
1	مك	مك	×		×	×
2	مك	مج			×	×
3	مك	سك	×	×	×	×
4	مك	سج			×	
5	مج	مك	×		×	×
6	مج	مج				
7	مج	سك	×	×	×	×
8	مج	سج				
9	سك	مك		×		×
10	سك	مج				
11	سك	سك				
12	سك	سج				
13	سج	مك		×		
14	سج	مج				
15	سج	سك				
16	سج	سج				
المجموع			4	4	6	6

علامة الانتاج: ×

مك: موجبة كلية / سك: سالبة كلية / مج: موجبة جزئية / سج: سالبة جزئية.

الموت خاتمة المطاف

■ إعداد: حسن بوشو

من وحي خبر رحيل الشاعر الوطني الكبير محمد الحلوي رحمه الله

الموت خاتمة المطاف وكل ما ... فوق الثرى فإلى التراب يصير
والله ربي وحده الباقي وما ... لله أما ماسواه فبور
والباقيات الصالحات هي الرجا ... ء لمن وراءه منكر ونكير
فاعمل لربك خالصا مترجيا ... إن الودود لمرتجيه غفور
فلكم ضليل في الحياة بزيفها ... وبريقها حتى أتاه" نذير

يامن ينغضه السراب وقلبه ... فيه الذي من ذكره " الإكسير"
لاشيء يحزن أو يسر وكل ما ... في الأرض فان ، والحياة عبور
هاهم أحبتك الأولى أحببتهم ... وارتهم تحب الصخور قبور
وطواهم النسيان في ظلماته ... وهم لديك أهلة وبدور!
لم يبق منهم غير سفر منطو ... في الرف فيه أحرف ، وسطور
والسفر بعد غد سيفنيه البلى ... ويلفه في صمته الديجور
أين المثنى من شدت أشعارنا ... به في الحياة وغرد الشحرور
وهو الذي ملأ الزمان عظائما ... تبقى وتفنى بعدهن دهور
أين الذين به تغنوا في الدنى ... دار الزمان عليهم .. ويدور
الجاي " راح ، فأين منه سوانح ... ولى فولت واستحالت مصيرا!
وأبو الجواهر في الفرات قد انطوى ... ذكرا فشعره جوهر مغمور
فلقد تغربت الديار وهاجرت ... عن كل وكر في الفرات طيور
والليل طال وشهرزاد " أسيرة ... والقصر قبر حولها مهجور
لا فجر يؤذن بالصباح ولا غد ... يرجى هناك وشهريار أسير
والنهر يجري بالدماء وباللظى ... والظلم يجتاح المدى ويغير
واليوم شادي الحي حلوي الشذا ... يمضي ويطوى ذكره المأثور
وتغيب أوراق الخريف وقد هوى ... غصن وماتت في التراب جذور
وتوارت الأنغام واندثر الصدى ... في القبر لاشدو ولا جمهور
فالحزن في قلب العروبة جاثم ... واليأس جاث والزمان عسير
يارب فارحمنا برحمتك التي ... تمحو بها ما خطه المقدور
وبها توفي المخلصين أجورهم ... عن حب عرش صدقه مأجور
وأدم بحفظك سادسا أيامه ... ورد تفتق في الربى وزهور
واجعل محبته سراج قلوبنا ... فيه تنار حياتنا وتنير
وانصر به الإسلام نصرا ظافرا ... يامن تلبي من دعا وتجير
واغمر بعفوك شاديا عن سربه ... قد غاب وهو مدى العهود حضور

لمحات ومواقف في حياة السي عبد القادر الجيلاني

■ إعداد الطاهر العروسي

الحلقة الأخيرة

والشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني عند ما نصب نفسه لإرشاد الناس، كان ذاق كثير من المرائر وهو يقوم سلوك نفسه ويربيها على الطاعة والامتثال والسير في المنهج الذي يرضي الخالق عز وجل حتى لا يكون داخلا فيما أشارت إليه الآية القرآنية : يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون،

والآن نأتي إلى ورد الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني:

ورد الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني هو:

حسبنا الله ونعم الوكيل 200مرة
أستغفر الله 200
لاإله إلا الله الملك الحق المبين 100
اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم 100مرة

قال صاحب الفهرست. من كان متفرغا قراه دبر كل صلاة من الصلوات الخمس ، ومن كان مشغولا ، قراه بحسب طاقته.

جاء في كتاب : "نعت البدايات وتوصيف النهايات "للشيخ الإمام العلامة ماء العينين بن الإمام سيدي محمد فاضل بن مافين رضي الله عنهما.

إن ورد السلسلة المباركة القادرية من أجل الأوراد قدرا، وأوفرها ذخرا، وأعلاها ذكرا، وهو يغني عن جميع الأوراد ، ولا يغني عنه ورد، ومن أجل فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على حسن الخاتمة ، وكفى بها مزية.

من دعائه رضي الله عنه:

اللهم إني أعوذ بك من كل صاحب يردني، ومن كل أمل يغويني ، ومن كل عمل يخزيني ، ومن كل غنى يطغيني ومن كل فقر يلهيني، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والغل، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، وأعوذ بك من قلب لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفس لا تقنع، وعلم لا ينفع، وأعوذ بك من هؤلاء الأربع ثم تدعو بسيف الحكماء ، وهو : يا الله يارب ، يارب يارحمان يارحيم " ثلاثا، اللهم لا تكلني إلى نفسي في حفظ ما ملكتني ، وامددني بدقائق إسمك الحفيظ الذي حفظت به جميع الموجودات ، واكسني بدرع من كفالتك وكفايتك ، وقلدني بسيف نصرك وحمايتك وتوجني بتاج عزك وكرمك.

قال الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر: كان من أدعية والدي في مجالس وعظه:

اللهم إنا نعوذ بوصلك من صدك، وبقربك من طردك، وبقبولك من ردك، واجعلنا من أهل طاعتك وودك، وأهلنا لشكرك وحمدك، يا أرحم الراحمين.

من أجلك وحدة الوطن

ملحمة الاستقلال

شعر أحمد البقيدي وزان

أَنَا ابْنُ الصَّحْرَاءِ الشَّهْمِ ... وَأَرْضِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
فِدَاءُ الْعَرْشِ مِلْءُ دَمِي ... أَنَا بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ
أَصُونُ تُرَابَكِ يَا وَطَنِي

لِأَنَّكِ أَرْضُ أَجْدَادِي ... وَمَشْرِقُ شَمْسِ أَعْيَادِي
أَرَضِيعُ مِنْكِ أَمْجَادِي ... أَغَنِّيهَا لِأَحْفَادِي
نَشِيدُ الْخُلْدِ يَا وَطَنِي

عَشِقْتُ الْأَطْلَسَ الْحُرَّ ... تَنَاجِي الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ
عَشِقْتُ النَّخْلَ وَالنَّهْرَ ... فَيَفْرَحُ بِأَرْضِنَا حُرَّا
فَيَنْعَمُ بِالنَّمَا وَطَنِي

أَنَا سَرُّ فِي الْوَغَى صَمَدُ ... وَنَارٌ وَحَشْرَجُ الْمَلَدُ
وَكُنْتُ عَلَى الْعِدَا أَسَدُ ... لِأُصْبِحَ الطَّائِرَ الْحُرَّ
وَحُرًّا فِي سَمَا وَطَنِي

وَحَامَتْ ثَوْرَةُ الْمَلِكِ ... لِإِسْتِقْلَالِ بِالْهَلَكِ
وَأَوْقَعَتْهُ فِي الشَّرَكِ ... كَسِيرَ الظَّهْرِ وَالْوَتَرِ
وَأَخْرَجْنَاهُ مِنْ وَطَنِي

وَكَانَتْ عَوْدَةُ الْمَطَلِ ... بِالْإِسْتِقْلَالِ وَالْأَمَلِ
وَبِالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ ... تَعَاهَدْنَا وَلَمْ نَزَلِ
عَلَى التَّحْرِيرِ يَا وَطَنِي

وَبَعْدَ الْخَايِنِ الْحَسَنِ ... أَنَادَ بِعَصْرِهِ الزَّمَنِ
وَأَدْرَكَ نَيْلَهُ الْوَطَنُ ... فَمَا ضَعُفُوا وَلَا وَهَنُوا
خُمَاةُ حِمَاكِ يَا وَطَنِي

وَسِرْنَا خَلْفَ رَايَتِنَا ... إِلَى اسْتِقْلَالِ وَحْدَتِنَا
كِتَابُ اللَّهِ عُدَّتُنَا ... وَنُورُ الْحَقِّ مَبْدَؤُنَا
فَمَنْ يُؤْذِيكَ يَا وَطَنِي

فَهَذِي الرَّايَةُ الْحَمْرَا ... تُزَفُّ لِلْوَحْدَةِ الْكُبْرَى
بِرُوحٍ مَسِيرَةٍ خَضْرَا ... مِنَ الْبُوغَازِ لِلصَّحْرَاءِ
تَسِيرُ فِدَاكِ يَا وَطَنِي

وَهَذَا الْحَقُّ قَدْ رَجَعَ ... وَضَمَّ الشَّمْلَ وَاجْتَمَعَ
وَلَيْلُ الْعَايِبِ انْقَشَعَ ... بِصُبْحٍ مُشْرِقٍ سَطَعَ
بِعَوْنِ رَبِّكَ يَا وَطَنِي

وَهَذِي أَوْبَةُ النَّصْرِ ... تُزَفُّ بِمَلَايِينِ الظَّفَرِ
وَتِلْكَ مَسِيرَةُ الْفَجْرِ ... تَحَدَّتْ أَعْظَمَ الْخَطَرِ
دِفَاعًا عَنْكِ يَا وَطَنِي

وَلَازِلْنَا عَلَى الْعَهْدِ ... وَرَاءَكَ عَاهِلَ الْبَلَدِ
نُوَاصِلُ أَمْسَنَا بِغَدِ ... وَذِي الصَّحْرَاءُ لِلْأَبَدِ
بِعَهْدِكَ وَمِنْكَ يَا وَطَنِي

خِطَابُ مَلِيكِنَا صَدَقَ ... بِصَوْتِ الْحَقِّ قَدْ نَطَقَ
وَقَلْبُ الشَّعْبِ قَدْ عَنَقَ ... بِحُبِّ مُحَمَّدٍ خَلَفَ
وَبِالصَّحْرَاءِ يَا وَطَنِي

فَلَا بُعْدٌ يُبَاعِدُنَا ... وَلَا زَعْمٌ يُفَسِّدُنَا
وَلَا خَصْمٌ يُنَازِعُنَا ... وَلَا وَهْمٌ يُضَلِّلُنَا
وَلَا لِلتَّقْسِيمِ يَا وَطَنِي

إِنِ اسْتَفْتَيْتَنَا فِي الصَّحْرَا ... نَجُدْ بِبَدِيعَةِ الشَّجَرَهْ
وَمَهْمَا أَجْمَعُوا أَمْرًا ... فَلَا تَشْلِيمُ وَلَوْ شِبْرًا
مِنَ الصَّحْرَاءِ يَا وَطَنِي

فَمَنْ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ ... وَأَسْلَمَ عَيْنَهُ النَّدَمُ
يَعُدْ فَالْعَفْوُ وَالْكَرَمُ ... هُنَا لَمْ يُقْتَلْ وَلَا سَامُ
غَفُورٌ أَنْتَ يَا وَطَنِي

تَذُودُ عَنِ الْحِمَى دَوْمًا ... وَتَأْخُذُ حَقَّنَا سِلْمًا
وَتَأْبَى الْجَوْرَ وَالظُّلْمَ ... وَتَرْعَى الْوُدَّ وَالرَّحِمَ
لِتَحْيَا أَنْتَ يَا وَطَنِي

فَمَهْمَا أَنْتَ تَمَرَّدُ وَاسْتَكْبَرْ ... وَتَاهَ الْخَصْمُ وَانْتَهَرْ
سَيَبْقَى خَلْفَكَ الْأَحْرَارُ ... وَأَبْقَى مُقْبِلًا أَكْثَرْ
لِأَجْلِكِ وَحْدَةَ الْوَطَنِ

حقوق المرأة من خلال مدونة الأسرة

إعداد:
عمر
ميركي

مخصوصة.

وإعمالا لأحكام الشرع الحنيف نصت مدونة الأسرة على أن « للزوجين أن يتراضيا على الطلاق بالخلع طبقا لأحكام المادة 114، وهذا يسير على وفاق ماذهب إليه أكثر العلماء من جواز الخلع مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب : قوله تعالى « فلا جناح عليكم فيما افتدت به»

ومن السنة حديث ابن عباس» أن امرأة ثابت ابن قيس أتت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله ثابت بن قيس لا أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكن أكره الكفر بعد الدخول في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقبل الحديقة وطلقها طلقة واحدة.

ولا يجوز للزوج أن يعضل زوجته ليرغمها على أن تفتدي نفسها منه فيذهب بمالها. قال تعالى : ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإذا ثبت ذلك حق للزوجة استرجاع ما خالعت به إذا أثبتت أن خلعها كان نتيجة إكراه أو إضرار الزوج بها ، غير أن الطلاق ينفذ في جميع الأحوال.

وحتى ينضبط حق الخلع. هذا فلا تتجرأ الزوجة إلى استعماله بدون سبب ، فقد أحاطته الشريعة بنصوص تحذر المرأة من الوقوع في الهوى وركوب الشهوة.

قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون».

وفي الحديث « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق فحرام عليها رائحة الجنة ، وفي حديث آخر " المختلعات والمنتزعات هن المنافقات.

ولعل إقرار طلاق الخلع كما جاءت به أحكام مدونة الأسرة من شأنه تحقيق المقاصد الأساسية الآتية:

1 مراعاة الحالة النفسية للزوجة عندما لا تستطيع الاستمرار في الحياة مع زوج لا تطيقه.

2 . تحقيق التوازن بين الرجل والمرأة في ملك ناصية الفراق ، وقد بين ابن رشد رحمه الله هذا المقصد قائلا: « والفقه أن الفداء إنما جعل للمرأة في مقابلة ما بيد الرجل من الطلاق، فإنه لما جعل الطلاق بيد الرجل إذا فرك المرأة جعل الخلع بيد المرأة إذا فركت الرجل. وهو ما أشار إليه الخطاب الملكي الذي أجمل أهم الإصلاحات الجوهرية التي جاءت بها مدونة الأسرة ومنها : جعل الطلاق حلا لميثاق الزوجية يمارس من قبل الزوج والزوجة، كل حسب شروطه الشرعية ، وبمراقبة القضاء ، وذلك بتقييد الممارسة التعسفية للرجل في الطلاق ، بضوابط محددة.

(يتبع...../)

3-حقها في كنافة الزوج

أحاط المشرع هذا الحق بكثير من الضمانات فقد أجاز للمرأة التي غاب عنها زوجها لمدة معلومة رفع دعوى التطليق لما يلحقها من ضرر معنوي كبير ناجم عن عدم الكنافة.

جاء في المادة 98 من مدونة الأسرة ما يلي: للزوجة طلب التطليق بناء على أحد الأسباب الآتية:

1. إخلال الزوج بشرط من شروط عقد الزواج.
2. الضرر.
3. عدم الإنفاق.
4. الغيبة.
5. العيب.
6. الإيلاء والهجر.

وجاء في المادة 104 مايلي:" إذا غاب الزوج عن زوجته مدة تزيد عن سنة ، أمكن للزوج طلب التطليق...»

ويتأسس ما نصت عليه المدونة في هذا الصدد على ما ورد في الأحاديث والروايات التي تجعل الكنافة من أهم حقوق الزوجة على الزوج . من ذلك ما رواه أبو حفص بإسناده عن زيد بن أسلم قال: بينما عمر بن الخطاب يحرص المدينة ، فمر بامرأة في بيتها وهي تقول

تطاول هذا الليل وأسود جانبه
وطال علي أن لا خليل ألاعبه
والله لاولا خشية الله وحده
لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكن ربي والحياء يكفني
وأكرم بعلي أن توطأ مراكبه

فسأل عنها عمر، فقيل له: هذه فلانة، زوجها غائب في سبيل الله ، فأرسل إليه تكون معه وبعث إلى زوجها فأقفله ، ثم دخل على حفصة ، فقال : يابنية .. كم تصبر المرأة على زوجها ؟ فقالت : سبحان الله مثلك يسأل مثلي عن هذا ؟ .. فقال : لولا أني أريد النظر للمسلمين ما سألتك.

قالت خمسة أشهر .. ستة أشهر. فوقت للناس في مغازيهم ستة أشهر .. يسيرون شهرا، ويقيمون أربعة أشهر ويسيرون راجعين شهرا وعلى هذا الأساس جعلت بعض الدول حد أقصى للغياب المخول للتفريق قضاء ستة أشهر ، وجعلته مدونة الأسرة سنة كما تنص على ذلك المادة 104:" إذا غاب الزوج عن زوجته مدة تزيد عن سنة ، أمكن للزوجة طلب التطليق...»

وننوه هنا ، أن القانون الجنائي المغربي قضى باعتبار الزوج الغائب عن بيت الزوجية مرتكبا لجريمة إهمال الأسرة إذا زادت عن شهرين ، حيث نص الفصل 479 منه على أنه " يعاقب بالحبس من شهر إلى سنة وبالغرامة من 200 إلى 2000درهم.

الأب أو الأم إذا ما ترك أحدهما بيت الأسرة دون موجب قاهر لمدة تزيد عن شهرين وتملص من كل أو بعض واجباته المعنوية والمادية الناشئة عن الولاية أو الوصاية أو الحضانة ، ولا ينقطع أجل الشهرين إلا بالرجوع إلى بيت الأسرة رجوعا ينم عن إرادة استئناف الحياة العائلية بصورة نهائية ،

4-حقها في اشتراط عدم التزوج عليها

أجازت مدونة الأسرة " للمرأة أن تشترط في العقد على زوجها عدم التزوج عليها باعتبار ذلك حقا لها ، عملا بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مقاطع الحقوق عند الشروط، وهكذا نصت في المادة 40 على أن التعدد يمنع « إذا خيف عدم العدل بين الزوجات ، كما يمنع في حالة وجود شرط من الزوجة بعدم التزوج عليها...»

وما ذهبت إليه المدونة في هذا الباب له سنده في الفقه الإسلامي ، فقد ذهب إليه من الصحابة والأتباع عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ومعاوية وعمر بن العاص وعمر بن عبد العزيز وجابر بن زيد وطاووس والأوزاعي وإسحاق والحنابلة.

قال ابن قدامة في المغني « وإذا تزوجها ، وشرط لها أن لا يخرجها من دارها وبلدها فلها شرطها لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أحق ما أوفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج وإن تزوجها وشرط لها أن لا يتزوج عليها فلها فراقه إذا تزوج عليها».

يستدل أصحاب هذا الرأي بما يلي:

. قوله تعالى « ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود».

. روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عقبة ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال» أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج».

وقد رجح ابن قدامة هذا الرأي . جواز اشتراط المرأة عدم التزوج عليها. فقال :" ولنا قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج، وفي رواية إن أحق الشروط أن توفوا بها ماستحللتم به الفروج.. ولأنه قول من سمينا من الصحابة. ذكر أسمائهم . ولا نعلم لهم مخالفا في عصرهم فكان إجماعا .. ولأنه شرط لها فيه منفعة ومقصوده لا يمنع من النكاح فكان لازما.

وقولهم : إن هذا يحرم الحلال ، قلنا : لا يحرم حلالا ، وإنما يثبت للمرأة خيار الفسخ إن لم يف لها به.

وقولهم : ليس من مصلحته ، قلنا : لانسلم بذلك..فإنه من مصلحة المرأة ، وما كان من مصلحة العاقد كان من مصلحة عقده...»

5- حقها في الخلع

جاء في لسان العرب : خلع الشيء يخلعه خلعا واختلعه : كنزعه، إلا أن في الخلع مهلة، وسوى بعضهم بين الخلع والنزع، وخلع النعل والثوب والرداء يخلعه خلعا: جرده . وفي حديث كعب : إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة أي إخراج منه وأتصدق به، وخلع قائده خلعا : أزاله، وخلع دابته : أطلقها من قيدها ، وخلع امرأته خلعا بالضم وخلاعا فاختلعت وخالعته: أزالها من نفسه وطلقها على بدل منها له.

وخلع امرأته وخالعها إذا افتدت منه بمالها فطلقها وأبانها من نفسه ، وسمي ذلك الفراق خلعا لأن الله تعالى جعل النساء لباسا للرجال، والرجال لباسا لهن ، فقال عز وجل: « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن».

أما في الاصطلاح الشرعي فهو بدل المرأة العوض على طلاقها. أو هو عبارة عن فراق الزوج امرأته بعوض بألفاظ

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1098
السنة38
الجمعة 4 ذو الحجة 1425 هـ
الموافق 14 يناير 2005 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1098 الجمعة 4 ذو الحجة 1425 هـ . الموافق 14 يناير 2005م

معاملة النساء في الإسلام وحمايته لهن من الظلم والاعتداء

للدكتور السعيد بوركبة

قبل التحدث عن هذا الموضوع ينبغي أن ننطلق إليه من خلال آيات قرآنية، وأحاديث نبوية لنرى كيف عامل الإسلام النساء، وكيف أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المومنين بالنساء خيرا حتى لايعنفوهن أو يعتدوا عليهن ويظلموهن.

فقال قال الله تعالى في محكم كتابه:

"يأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها، ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ماآتيتموهن إلا أن ياتين بفاحشة مبينة، وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن، فعسى أن تكرهوا شيئا، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطارا، فلا تأخذوا منه شيئا، أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض، وأخذن منكم ميثاقا غليظا" الآيات 21،20،19 من سورة النساء.

وأنه بالرجوع إلى كتب التفسير في تفسير هذه الآيات، نجد المفسرون يذكرون سبب نزول الآية 19 منها، وذلك فيما أخرجه البخاري في صحيحه، وأبو داود والنسائي في سننهما عن ابن عباس.

كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير الطبري بسند حسن عن أبي امامة سهل بن حنيف، قال لما توفي أبو قيس بن الأسلت، أراد ابنا أن يتزوج امرأته، وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله" لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها".

وقال المفسرون كان أهل المدينة في الجاهلية، وفي أول الإسلام، إذا مات الرجل وله امرأة، جاء ابنه من غيرها، أو قرابته من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة، فصار أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء أن يتزوجها، تزوجها بغير صداق، إلا الصداق الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره، وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا، وإن شاء عضلها . منعها . من الزواج، وضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت هي فيرثها، فلما توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته، كبيشة بنت معن الأنصارية فطرح ابن له من غيرها . يقال له حصن . ثوبه عليها، فورث نكاحها ثم تركها، فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه بمالها، فاشتكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها "اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمر الله".

فانزل الله تعالى هذه الأية:

وأنه بالرجوع إلى هذه الأية نجدها تتضمن اربعة مقاطع:

1. تحريم إرث النساء كرها.
2. تحريم عضلهن عن الزواج.
3. تحريم أخذ شيء من مهورهن.
4. الأمر بمعاشرتهن بالمعروف.

أما المقطع الأول من الأية فيحرم الله فيه على الرجال أن يرثوا أزواجهم مكرهين لهن على ذلك، وفي هذا إعتداء منهم، وأي إعتداء عليهن، وعنف موجه منهم نحوهن لايقره الله ولارسوله، ونتيجة لذلك ابتعد المومنون عن هذا التعامل السيء وارتاح النساء منه.

وأما المقطع الثاني منها فيحرم الله فيه على الرجال، ولاسيما أولياء النساء أن يمنعوا بناتهم أو أخواتهم من الزواج إذا رضين بهم ووافقن عليه، كما وقع لمعقل بن يسار، إنه زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت عنده ماكانت، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، ثم خطبها مع الخطاب، فقال له يالكع "أي يالئيم" أكرمتك بها، وزوجتك فطلقتها والله، لاترجع إليك أبدا، فعلم الله حاجته إليها، وحاجتها إلى بعلها فأنزل الله "وإذا طلقتم النساء، فبلغن أجلهن، فلاتعضلوهن...الأية" فلما سمعها معقل، قال سمعا لربي وطاعة ثم دعاه فقال أزوجك وأكرمك.

وهكذا قطع الله الطريق على الأزواج وعلى غيرهم وحال دون تعسفهم على أزواجهم وتحكمهم فيما ليس لهم ومكن النساء من حقهن فيما يخصهن.

وأما المقطع الثالث منها أيضا، فقد حرم الله فيه على الرجال أن يأخذوا شيئا من مهور أزواجهم، ماعدا فيما نص عليه في الخلع غير المجحف والمضر بهن وبأبنائهن.

وأما المقطع الرابع منها فقد أمر الله فيه المؤمنين بمعاشرة أزواجهم بالمعروف خاصة وانهن يشكلن النصف الأخر للرجال في منعطفات الحياة الإنسانية.

مثلما هن شقائق الرجال في الأحكام، ولو لاهن لما بقي النسل البشري منتشرا على وجه الأرض.

أما معاشرتهن بالمعروف، فقد أوضح المفسرون في تفسير هذه المعاشرة بأن يطيب الرجال اقوالهم لهن، ويحسنوا أفعالهم وهيئاتهم لهن بحسب قدرتهم، حتى قال ابن عباس كنت اتزين لامرأتي كما تتزين لي.

فكما يحبون ذلك منهن، كذلك ينبغي أن يفعلوا لهن مثله، "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف".

وقد قال رسول الله فيما رواه ابن عساكر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي".

وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم، إنه جميل العشرة، دائم البشر يداعب أهله، ويتلطف بهن، يوسعهن نفقته، ويضاحك نساءه، حتى أنه كان يسابق عائشة رضي الله عنها ويتودد إليها بذلك، فقالت سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم، فسبقني، فقال: "هذه بتلك".

وكان يجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها.

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد . ثوب . يضع عن كتفيه الرداء، وينام بالازار.

وكان إذا صلى العشاء، يدخل منزله، يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام ويؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى في حقه "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"

وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: "لايفرك مؤمن مؤمنة، أن سخط منها خلقا، رضي منها آخر".

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء ونفر منه، كما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن زمعة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"أيضرب أحدكم امرأته . كما يضرب العبد . ثم يجامعها في آخر اليوم".

وفي رواية عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته . كما يضرب العبد . يضربها أول النهار ثم يجامعها آخره".

وكان عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه ابن عمر في خطبة الوداع "استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم (أسيرات) أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، ومن حقكم عليهن إلا يوطئن فرشكم أحدا، ولايعصينكم في معروف، وإذا فعلن ذلك، فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف"

وورد في رواية أخرى لجعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله في حجة الوداع تغيير لبعض ألفاظ الحديث، جاء فيه "فاتقوا الله في النساء أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن إلا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف".

وزيادة في ايضاح معاشرتهن بالمعروف في قوله تعالى "وعاشروهن بالمعروف" أن الله انزل هذه الآية ردا على ماكان في الجاهلية، إذ كان الرجال يسيئون عشرة النساء، فيغلظون لهن القول، ويضارونهن.

فإن كرهتموهن لعيب في أخلاقهن أو قبح في خلقهن، أو لتقصير في عمل واجب عليهن، كخدمة البيت أو لميل إلى غيرهن، فاصبروا، ولاتعجلوا بمضارتهن، ولابمفارقتهن فربما يجعل الله فيهن خيرا كثيرا، فيجعل منهن زوجات راضيات، يصلحن أحوالكم، أو يرزقكم منهن بأولاد نجباء صالحين، قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم في صحيحه "أن كره منها خلقا رضي منها آخر".

ومعنى ذلك، أنه لايبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها، ولاينبغي له ذلك، بل يعفو ويصفح، ويتغاضى عما يكره لما يحب، ولو تعقل الرجل الآية والحديث وعمل بهما، شعر بالسعادة، وأسعد الأسرة، وتجنب كل ما قد يحدث من منازعات تؤدي إلى أبغض الحلال، وتوقع في الشقاء والخسران.

وبالإضافة إلى مانهى عنه الله وأمر به المؤمنين في آيات بسورة النساء الثلاث 21،20،19 بالنسبة للرجال مع النساء فقد أمر سبحانه وتعالى المؤمنين في آيتي 232،231 من سورة البقرة "بامساك زوجاتهن بالمعروف، أو تسريحهن بمعروف، وعدم عضلهن، ومنعهن من الزواج حتى لايقعوا في عنف ضدهن، أو يتلبسوا بعدوان واعتداء في مواجهتهن، حيث قال الله جل من قائل "وإذا طلقتم النساء، فبلغن أجلهن، فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف، ولاتمسكوهن ضرارا لتعتدوا، ومن يفعل ذلك، فقد ظلم نفسه، ولاتتخذوا آيات الله هزؤا، واذكروا نعمة الله عليكم، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم، وإذا طلقتم النساء، فبلغن أجلهن، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف، ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر، ذلك أزكى لكم، وأطهر والله يعلم وأنتم لاتعلمون".

كل هذا جاء به القرآن الكريم من أجل وضع حد للعنف والاعتداء على النساء.

وأما بالنسبة للآية 21 من سورة النساء فقد نهى الله المومنين من خلالها أن يأخذوا شيئا، ولو يسيرا من الصداق عند استبدالهم زوجا مكان زوج، ولو كان الصداق قنطارا من ذهب أو فضة، لأن بأخذهم ذلك، يكونون قد عرضوا أنفسهم للبهتان والذنب المبين، فتساءل الله في استنكار، وانكار عليهم، لما يأخذونه منهن، والحال هذه قد أفضى بعضهم إلى بعض، وأخذن منهم ميثاقا غليظا، فقال "فلا تأخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا! وكيف تاخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا"!؟.

فقد كنى الله تعالى عن الجماع بلفظ الافضاء، لتعليم المومنين الأدب الرفيع.

والميثاق الغليظ، هو العهد المؤكد الذي يربط الرجل بالمرأة بأقوى رباط وأحكمه هو ماأمر الله به من امساك بمعروف، أو تسريح بإحسان.

وفي ختام هذا الحديث نقف مع سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن، حيث ينساب في تفسير قوله تعالى

"وكيف تأخذونه، وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا" حيث قال ويدع الفعل "أفضى" بلا مفعول محدد يدع اللفظ مطلقا، يشع كل معانيه، يلقي كل ظلاله ويسكب كل ايحاءاته، ولايقف عند حدود الجسد وافضاءاته، بل يشمل العواطف والمشاعر، والوجدانات والتصورات والاسرار والهموم والتجاوب في كل صورة من صور التجاوب، يضع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة أناء الليل وأطراف النهار، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتها فترة من الزمان.

وفي كل اختلاجة حب، افضاء!

وفي كل نظرة ود، افضاء!

وفي كل لمسة جسم، افضاء!

وفي كل اشتراك في الم أو امل، افضاء!

وفي كل تفكر في حاضر أو مستقبل، افضاء!

وفي كل شوق إلى خلف، افضاء!

كل هذا الحشد من التصورات والظلال، والانداء والمشاعر والعواطف، يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب "وقد أفضى بعضكم إلى بعض" فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى المادي الصغير، يخجل الرجل أن يطلب بعض مادفع، وهو يستعرض خياله، وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضي، وذكريات العشرة في لحظة الفراق الأسيف.

ثم يضم إلى ذلك الحشد من الصور والذكريات والمشاعر عاملا آخر، من لون آخر "واخذن منكم ميثاقا غليظا"

هو ميثاق النكاح باسم الله وعلى سنة الله وهو ميثاق غليظ لايستهين بحرمته قلب مؤمن، وهو يخاطب الذين آمنوا، ويدعوهم بهذه الصفة أن يحترموا هذا الميثاق الغليظ.

وهكذا . ومراعاة لما ذكر أعلاه . يجب على المومنين ألا يعنفوا نساءهم ولايعتدوا عليهن ولايهضموا لهن حقا من حقوقهن كما يجب عليهم أن يرفقوا بهن رفقا جميلا، ويكرموهن اكراما طيبا حسنا، عملا بقول الرسول الأعظم صلوات الله عليه وعلى اله وسلم "رفقا بالقوارير "وقوله" ماأكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم"والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.